حكاية فالتر الأعرج

قصة واقعية من اوكرانيا

تعريب

ف. أ.

بنعمة الاله من الالمانية بتصرّف

Der lahme Walter

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

المحتويات

١	ذكريات عن دار الأيتام في اوكرانيا	١
٢	الوصول	٣
٣	الفترة الاولى	٥
٤	الحكومة الجديدة	٧
٥	المعركة من أجل نفوس الاطفال	١٠
٦	تحت براثن الشيوعية	١٧
٧	صحوة الضمير	١٩
٨	صلاة فالتر الأولى	٢٢
٩	أبطال الأيمان الصغار	٢٣
١٠	الاضطهاد بحسب مشيئة يسوع المسيح	٢٥
١١	تدمير الملاجئ	٢٨
١٢	من الأفضل أن نموت على أن نسرق	٢٩
١٣	مجازاة الثقة	٣١
١٤	مخبأ غريب	٣٢
١٥	الهاربون الصغار	٣٣

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

١٦ الصامدون الصغار ٣٩
١٧ الأيام الأخيرة في دار الأيتام ٤٢
١٨ الخلاص ٤٣
١٩ الواعظ الشاب ٤٥

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ذكريات عن دار الأيتام في اوكرانيا

تسجّل هذه الحكاية واقعة حقيقية دارت أحداثها في بداية القرن العشرين في اوكرانيا*. شهود العيان هم الآن في الأبدية يتعزّون عند الرب. لكن اولادهم واحفادهم ما زالوا يتذكّرون الكثير ممّا رواه لهم اباؤهم واجدادهم عن الأوقات العصيبة بعد الحرب العالمية الأولى في روسيا و اوكرانيا.

في ذلك الوقت كانت الأوضاع مُضطربة جداً في البلاد. الجيشان الأحمر والأبيض يتقاتلان على السلطة. ثارت عصابات نستور ماخنو في كل مكان والتي بلغ عددها حوالي ستة الآلاف الى عشرة الآف رجل. وبرغم المعوّقات والصعوبات القاهرة حاول المؤمنون التبشير بالانجيل ودعوة الناس الى التوبة. في تلك السنين تأسست ارسالية الخيمة بقيادة الأخ يعقوب دايك، التي كانت تحمل الأخبار السارّة الى الناس بوجه الموت، وكانت تبدي المحبة، والرحمة، والمواساة في وسط الآلام والضيق.

في تلك الفترة، خسر الكثير من الأطفال والديهم. وطِلبة المسيحيين كانت توفير سكن جديد لهؤلاء الأيتام ليشعروا فيه بالخير والأمان. لذلك تم تأسيس دار مسيحي للأيتام من قبل ارسالية الخيمة في هالبشتات. تم نقل الدار بعدها الى قرية شوناو. كان رب البيت البالغ من العمر ٣٠ عاماً في ذلك الوقت هو أبرام هاردر. وزوجته هيلينا كانت قد تعهدت بمسؤوليات ربة المنزل. كان شعار دار الأيتام قائماً على مزمور ١٢١: ٢ — «مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ».

لم يكن هدف الموظفين المؤمنين تعليم الأطفال على القيم المعنوية كالعمل، الأخلاق، الترتيب، والنظافة عند تربيتهم فحسب بل أيضاً قيادة الفتيان والفتيات الى الخلّص وحثّهم على اتباع يسوع المسيح بادراك وأمانة. في عام ١٩٢١ سكن الدار ٣٦ طفلاً.

في شباط ١٩٢١ تم الشروع في أرجاء البلاد بقيادة حملات مُضادّة للدين وكل ما يتعلّق بالاله والمسيحية. قام الحكّام أيضاً بحظر مرشدي الاطفال من التكلم معهم حول كلمة الاله أو الصلاة معهم. تم التهديد باتخاذ اجراءات صارمة في حالة مخالفة هذه التعليمات. ادرك أهل البيت في

---

*هي ثاني أكبر دول أوروبا الشرقية. يحدها الاتحاد الروسي من الشرق، بيلاروسيا من الشمال، بولندا وسلوفاكيا والمجر من الغرب، رومانيا ومولدوفا إلى الجنوب الغربي، والبحر الأسود وبحر آزوف إلى الجنوب

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

«الوالدين» (في الوسط) وكادر المؤمنين مع الأيتام في عام ١٩٢١ في اوكرانيا

الحال بانه ليس في مقدورهم مواصلة العمل على هذا الشاكلة، ولكن برغم خطر الموت المُحدق بهم اتّخذوا قراراً جدّياً: «لطالما نحن في هذا الملجأ، سنواصل الكلام مع الأطفال عن الاله وسنصلّي معهم».

بعد اعلان موقفهم هذا، كان يجب عليهم مغادرة دار الأيتام. اذ ان الحكومة قامت بتعيين موظفين جدد في دار الأيتام، ممن لا يبنون على أساس الاله ولا تأخذهم الرأفة بالأيتام. لقد تغيّر محيط دار الأيتام تماماً. أفتقد الاولاد والبنات الموظّفين السابقين.

تذكّرت الأخت أيرنا هاردر، مولودة فاست، حكايات امّها: «في دار الأيتام هذا، استطاعت أمّنا سارا فاست أيضاً ان تمد يد العون لبعض الوقت. عملت مع أخيها هاينرش اينس وأخوة آخرين في ارسالية الخيمة. وبعدما تعذر القيام بذلك، ذهبت أمّنا مع بعض الاخوات في ارسالية الخيمة الى دار ايتام روسي للعمل هناك. كانوا يساعدون في المطبخ، وفي غسل الملابس، واعمال منزلية اخرى. قضى الأخوات وقتاً طويلا مع الأطفال وتحدّثوا معهم عن الرب يسوع. رجع الى الرب عدد من الأطفال في ذلك الوقت وأرادوا أن يتبعوا المُخلّص بأمانة. لقد تسلّمت امّنا من أحد الاولاد، اسمه بولس، لوحة تذكارية جميلةً جداً. كان مرسوم عليها صورة كتاب مقدس مفتوح وبجانبه سيف وسعف نخيل. عندما غيّرت الحكومة نفسها، كان يجب على الأخوات مغادرة الدار لتحل محلهم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

منتسبة في جميعة الشباب الشيوعيين. لم ترغب احدى الفتيات واسمها ماروسيا ان تفترق عن امّنا وطلبت منها ان تأخذها معها. واذ أمّنا لم يكن لديها بيت خاص بها، لم تستطع ان تلبي طلب الفتاة. برغم الحظر آمن بعد ذلك ايضاً عدد من الأطفال بالرب واتكلوا عليه وكان عليهم أن يتألموا لاجل ذلك».

عسى ان تشجّع حكاية الاطفال الشهداء هذه، الذين تعرّضوا لهكذا وحشية من اجل الأيمان في بداية القرن العشرين، القرّاء ليكونوا شهادة حقيقية لمن حولهم.

الوصول

قارب الصيف الرائع على الانتهاء، الذي انعش بحرارته كل شيء وجعل الكثيريزهر ويتفتح، وكان على أيام الخريف الباردة أن تطوي صفحته. وازدانت الغابات والحدائق والمراعي بالوان برّاقة. كان بالامكان مشاهدة أسراب الاوز البرّي والبط والكركي وطيور اخرى في ساعات الصباح او المساء الباردة على قمم الاشجار الحمراء والصفراء. كان الجو يعج باصواتهم حينما كانوا يجتمعون سوية لكي يهاجروا الى بلدان الجنوب الدافئة.

على تخوم قرية جميلة ومزدهرة كان هناك دار للايتام. في أحد أيام الخريف المشمسة كان مدير الدار، المربيّات، واطفال الدار منشغلين بالعمل في حديقة الفواكه وحديقة الخضار المسيّجة. وبينما كان الصغار يلعبون مع اعزائهم المربيات — او «العمّات» كما كانوا ينعتونهن — كان الاطفال الأكبر سناً يقطفون الثمار تحت اشراف مدير الدار.

وفجأة تم سماع صوت عربة قادمة من طريق المدخل والتي توقفت مباشرة أمام الباب الرئيسي لدار الأيتام. واذا بطفل مرتدياً ثياباً رثّة قد خطف أنظار اطفال الدار نحوه مثيراً البهجة في داخلهم. أيمكن ان يكون «أخ صغير» جديد قد وصل؟ في الحال ترك البعض سكاكينهم وسلالهم تسقط من أياديهم لكي يركضوا الى أخرين في الجانب الاخر من الحديقة حيث كان «بابا» يعمل. لقد أحبّ الاطفال مدير الدار وكان بالنسبة لهم بمقام ابيهم حتى انهم كانوا ينعتونه هكذا أيضاً. بحماس نادوا بأصوات متعالية فيما بينهم من أجل ايصال الخبر الى بابا.

نظر مدير الدار بمحبّة الى المجموعة الصغيرة أمامه والتي احاطته بوجوه منشرحة وسألهم: «ألا يصبح المكان ضيّقاً عليكم لو استقبلنا طفلاً اخر؟».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

«لا، لا، بابا!» نادى الاطفال بمختلف اصواتهم: «لدينا مكان كاف!».

«أتريدون حقاً ان يكون لديكم اخت أو اخ جديد؟»

«نعم، بالطبع! سوف نحب هذا الطفل الجديد ونكون لطفاء معه»، مؤكّدين له ذلك وهم مفعمون بالفرح. «هنا، ينبغي ان يكون الجميع بخير!».

«حسناً، اذن ابقوا جميعكم ههنا. سأذهب هنالك. تصرفوا جيداً واستمعوا الى العمة آنا في أثناء غيابي». بهذه الكلمات غادر الى الدار حيث كان الغرباء بانتظاره.

كان هناك رجل وامرأة متوسطا العمر، وقد أحضرا معهما غلاماً عمره حوالي تسعة سنوات. ما يلاحظه المرء سريعاً هو ان الغلام المتسخ كان يعاني من نقص في التغذية وملابسه كانت قذرة وممزّقة. أضافة الى ذلك كانت قدمه عرجاء. سلّم مدير الدار على الغرباء وأوضح الرجل بانه قد جاء بابنه الى هنا على أمل ان يتم استقباله واعالته وتربيته. كان الأطفال محقّين في توقعهم.

لكن هناك كانت بعض المشاكل. اولها ان الدار قد افتتح من وقت قصير ومسبقاً كانت هناك تحرّيات كثيرة لا تساعد على استقبال كل الاطفال بهذه السهولة. اضافة الى ان الأطفال الذين ينبغي استقبالهم عادة هم من ليس لديهم معيل يعتني بهم.

صار الرجل، الذي كان صاغياً الى توضيحات مدير الدار، مشدود الاعصاب وطلب من المدير بعدها ان يكونا على انفراد فصرّح له بمكنونات قلبه. لقد دمّرتا الحرب والثورة فناء داره الصغير وجلبتا له الفقر المدقع. علاوة على ذلك توفيت زوجته منذ سنتين تاركة له الأطفال الصغار. كان الطفل الأصغر آنذاك لا يزال رضيعاً. لذا وجد نفسه مُضطراً للزواج مرة اخرى. لكن زوجته الثانية لم تحتمل أطفاله وبشكل خاص هذا الغلام، الذي لربما سيبقى معوقاً هكذا الى الأبد. وبينما كان الأب يروي قصته المحزنة اضاف قائلا والدموع في عينيه: «آه، ارجوك ان تأخذ ابني والاّ فانه سيواجه الموت ربّما!».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

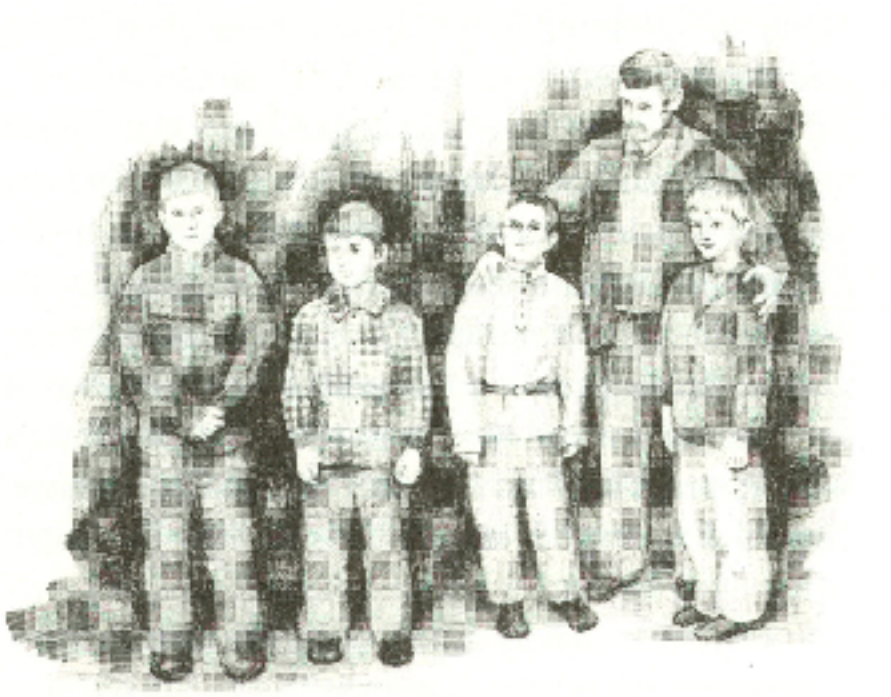

كانت حالة الغلام حقاً يُرثى لها. لم يكن القرار سهلاً بالنسبة لمدير الدار وفريق عمله، والذي كان عليهم اتخاذه هنا. كانت بعض الامور تتعارض مع استقباله. اولاً: انه يتعارض مع الضوابط الفعلية الخاصة بدار الاطفال، وثانياً وهو الأهم: ان عمر الغلام تسعة سنوات وبهذا فان الجزء الأكبر من شخصيته كان قد تشكّل أساساً. اذ كانت لديه مسبقاً الكثير من العادات والميول السيئة، التي لم يعد تركها ممكناً بهذه السهولة في هذا العمر.

الخطر قائم بان يؤثر الغلام سلباً على اطفال الدار الأصغر عمراً. كانت مدير دار الايتام والعاملون معه مسيحيين مؤمنين وارادوا تربية الاطفال على مخافة الاله. لذا كانوا متخوّفين من استقبال غلام صعب المراس ربمّا او منحرف اساساً. لكن بعد الكثير من الصلوات المخلصة حزموا امرهم على ان يستقبلوا فالتر الاعرج. بعد اسبوعين، انتقل الى بيته الجديد حيث تم استقباله من قبل افراد العائلة الفرحين.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الفترة الاولى

تسلّم فالتر ثياباً جديدة بعد أن أخذ حماماً منعشاً، والذي كان يعد ترفاً حقيقياً بالنسبة للفتى الفقير. ارتدى بدلته فوق ملابسه الداخلية النظيفة والعطرة. ثم أُعدّ له سريراً مريحاً ونظيفاً.

كان الفتى الاعرج متحيّراً نوعا ما بسبب عناية المربين المسيحيين الفائقة والمحبّة له. كان بالكامل عالماً جديداً بالنسبة له. لم يشعر في بيته بمحبة باذلة وعناية مترفّقة قط كتلك التي حصل عليها من قبل موظفي دار الاطفال. كان لأبيه عائلة كبيرة وكانوا يعيشون طوال سنين كثيرة في فقر مدقع. حتى انه بعد وفاة امه كان شعاع الشمس الاخير في بيتهم قد انطفأ. كان يتذكر جيداً الركلات والضربات من زوجة أبيه او الاخوان الأكبر منه ودموع المرارة الغزيرة التي كان يذرفها بسبب ذلك. منذ وفات امه لم يعزّيه او يدافع عنه أحد قط عندما كان الاخرون يسخرون منه او يصيحونه بـ «المقعد» من ورائه. كان يعلم ان والده كان يحبه حقاً، لكنه كان منشغلاً دائما ولم يكن في المنزل الاّ ما ندر.

لقد سبق وان اذرف فالتر في حياته القصيرة الكثير من الدموع بسبب ظلمهم ومضايقتهم وسخريتهم به. بمرور الوقت فقد احساسه بالرقة وتعلم ان يخفي معاناته. تسللت المرارة الى قلبه وتحول الى شخص قاس ومائل للثأر. كان يثأر لنفسه من اخوته واخواته وامرأة ابيه كلّما امكن ذلك. حتى انه كان يتسلّى بالتخطيط عمداً لمضايقة واغاظة الاخرين. لا عجب ان شخصية فالتر كانت قد فسدت مبكّراً حيث انه كان يكذب ويخدع وكان متحجّر القلب.

لكن هنا مع عائلته الجديدة لم يكن أحد يسخر منه او يحاول مضايقته. لم ينعته احد قط بال «مقعد» حيث كان ذلك يؤلمه كثيراً ويسبب له المرارة والغضب. لقد بدا الامر له غريباً بالكامل كيف كان هؤلاء الناس الغرباء، كباراً وصغاراً، يكنّون له المحبة جليّاً ويعتنون به وكانوا لطفاء معه.

في الاسابيع الاولى كان فالتر مندهشاً جداً بحياته الجديدة في دار الاطفال حتى انه أصبح مطيعاً. اعتقد مدير الدار والعاملون الاخرين معه، الذين خشوا بالبداية من تأثير الغلام السلبي على باقي الاطفال، ان مخاوفهم كانت غير مُبرّرة ومُبالغ بها.

على أية حال، بعد مرور بعض الوقت استقرّ فالتر واعتاد على محيطه الجديد. شيئاً فشيئاً بدأت عاداته

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

القديمة وصفاته تعاود الظهور. بعد بضعة أشهر بات الامر جلياً للكل في دار الأيتام ان فالتر كان فتىً فاسداً.

لم يكن قاسياً، مخاصماً وكذوباً تجاه الاطفال فحسب، بل كان أيضاً فظاً، غير مطيعاً، ومخادعاً تجاه مدير الدار والمربّين. لقد حاولوا مراراً كسبه من خلال المحبّة والمودّة، لكن غالباً ما توجّب عليهم الاقتناع بكل خيبة أمل بان كل محاولاتهم قد باءت بالفشل.

كما كانت الضربات والتعييرات تملأ القلب الصغير الخاطئ بافكار الانتقام في السابق، لم يعد هكذا يعاني الآن عندما صار يُعامل بالمحبّة والاحسان. كلّما اجتهد موظّفوا دار الاطفال المسيحيين ليكونوا لطفاء معه، كلما اصبح تصرفه فظاً أكثر، وكلما ازدادت كراهيته لهم وكأنما قوة شريرة كانت تهيمن على قلبه.

للأسف لم يكن هذا التصرف السيء بلا تأثير على الأطفال الاخرين. غالباً ما كانوا يكذبون، ولا يطيعون ويسيئون التصرف، ما لم يسبق حدوثه أبداً في دار الأطفال. كانت الصلوات تُرفع يومياً من أجل فالتر المسكين الضال الى عرش النعمة لعلّ الاله يغيّر قلبه. مضت اسابيع وشهور ولم يتغيّر شيءٌ يذكر — الغلام كان يفعل ما يشاء ويمارس بذلك تأثيراً سلبياً على باقي الاطفال.

مضت سنتان اثنان على هذا المنوال. ومازال فالتر في دار الاطفال، لكن تصرفاته لم تتحسّن. لم تكن لديه رغبة في تعلّم أي عمل يدوي. عندما كان يُطلب منه مساعدة الاطفال الاخرين، كان يقوم بذلك بامتعاض كبير، وغمّ، وعدم اكتراث. عند التعلم كان كسولاً الى حد كبير. بالكاد كان يمكنه ان يعد الى الثلاثة، حتى ان المعلّم قد فقد كل رجاء فيه. قيّم مدير الدار والمسؤولين معه بجديّة احتمالية ارجاع الغلام الى ابيه من أجل حماية الاطفال الاخرين من تأثيره السلبي.

لكن بعد ذلك تفوّقت المحبّة والشفقة تجاه الصبي الاعرج المسكين. ولو بدا الأمر ايضاً وكأن الغلام غير قابل للتحسّن فان موظفو دار الاطفال آمنوا بان الاله سيغيّر هذا القلب القاسي الغير طائع بحسب توقيته. تغلّب هذا الرجاء دوماً على الرغبة بارساله الى المنزل وأعطى البالغين بالعمر قوة جديدة للتغلب على كل الصعوبات في تربية الغلام لمجد الاله. لذلك استطاعوا بالرغم من كل افعاله الفظّة ان يقابلوه بالاحسان، والمودّة، والشفقة. صلّى العاملون على نحو متزايد الى الاله، القادر ان يخلّص من يشاء، طالبين منه ايضاً ان يخلّص الصغير فالتر الأعرج.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الحكومة الجديدة

كلّفت الحرب الأهلية الدموية الطويلة في روسيا حياة ملايين كثيرة من الناس. كل ما تم اعماره على مدار قرون قد تم تدميره. بعد كل هذا نشأت حكومة موحّدة في البلاد واصبحت الحياة نوعاً ما أكثر استقراراً.

لكن الحكومة الشيوعية الجديدة أرادت ان تشكّل البلاد بحسب مبادئها الخاصّة ودمّرت بلا شفقة كل مقوّمات المجتمع السابقة.

قبل كل شيء تم اغلاق كل التنظيمات الخيرية او تأميمها. ارادت الحكومة السوفييتية احكام السيطرة على جيل اليافعين. كانت حريصة على ابعاد الاطفال عن التأثير المسيحي للآباء والمربّين لكي تستطيع تربيتهم على قيم الشيوعية والالحاد. لقد احكمت الدولة سيطرتها على المدارس ودور الاطفال وتم نثر بذور الفجور وتعليمه في كل مكان.

لقد طالت يد الشر السوداء أيضاً دار الاطفال الذي تمت استضافة فالتر فيه. ادارة الدار كانت على بيّنة من الأمر أن الحكومة التي تنكر الاله ووجود الخطيئة وتعمل على دمار العلاقات العائلية المقدّسة المعيّنة من قبل الاله لا تأتي بشيء سوى الانحدار الاخلاقي والروحي. لذا حاولوا باستماتة التمسّك بدار الايتام بايديهم. لكن بلا جدوى. الحكومة الجديدة ارسلت الى الادارة انذاراً تلو الاخر. اولاً تم اغلاق كل مدارس الأحد قانونياً وتم منع الأطفال من قراءة الكتاب المقدّس. مُنع المعلّمون والمربّون منعاً باتاً من الحديث عن الاله الى الأطفال عموماً. في يوم ما داهم جنود الدار ومنعوا مديره من الصلاة مع الاطفال قبل اوقات الطعام و حتى في أي وقت اخر. لو حصل ذلك لتم رميه بالرصاص في مكانه. ذلك المصير نفسه كان يهدد كل من يتحدّث عن الاله الى الأطفال. كانت هذه، على اية حال، فقط البداية لتجارب عسيرة كثيرة وآلام مريرة لدار الاطفال. كانوا معتادين على التكلّم مع الاله والصلاة قبل تناول الطعام. لذا مكثوا في أماكن جلوسهم هادئين، بعد مغادرة الجنود لغرفة الطعام توقعوا ان تُرفع صلاة الشكر والبركة كالمعتاد قبل ان يشرعوا في تناول الطعام. مكث مدير الدار والعاملون معه مدة من الزمان بلاحراك جالسين، لانهم شعروا بوطأة التهديدات الأخيرة. ثم قال المدير بهدوء وبصوت مرتجف للاطفال: «احبائي الاطفال، لقد هدّدوني بالقتل لو صليتُ معكم، لذا يمكنكم الآن تناول الطعام».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

«لا، بابا، سوف لن نأكل مالم يبارك الرب يسوع الطعام! ان لم يُسمح لك بالصلاة فبمقدور ماما ان تصلّي!» جاء الرد بسرعة. «يا اولاد، ليس بابا فقط، لكن كل الاخرين ايضاً تم منعهم من ذلك! هدّد الجنود بقتلنا لو قمنا بعمل ذلك»، قالت زوجة مدير الدار وبينما الدموع تنهمر على وجنتيها. «تناولوا الطعام الآن والاّ فسيبرد كل شيء »، اضافت قائلة.

عاود الصمت التام في الغرفة — صَمْت الموت. فجأة بدأ بولس ابن اربعة سنوات بالبكاء. وعند سؤاله عن سبب البكاء، أجاب بتنهّد: «لاني اريد ان اكل!». وعند دعوته للقيام بذلك، أبى بهذه الكلمات «لم يُصلّ أحَد، لذا لا يمكنني ان اكل!». الكل حاولوا اقناعه لتناول الطعام لكنّه لم يحرّك ساكناً واستمرّ بالبكاء: «انا جائع جداً». لم يمض وقت طويل حتى بدأ الاطفال الآخرون بالبكاء أيضاً. العاملون انفسهم بدأوا يذرفون الدموع. ترك الجميع المائدة دون أن يمسّوا المائدة.

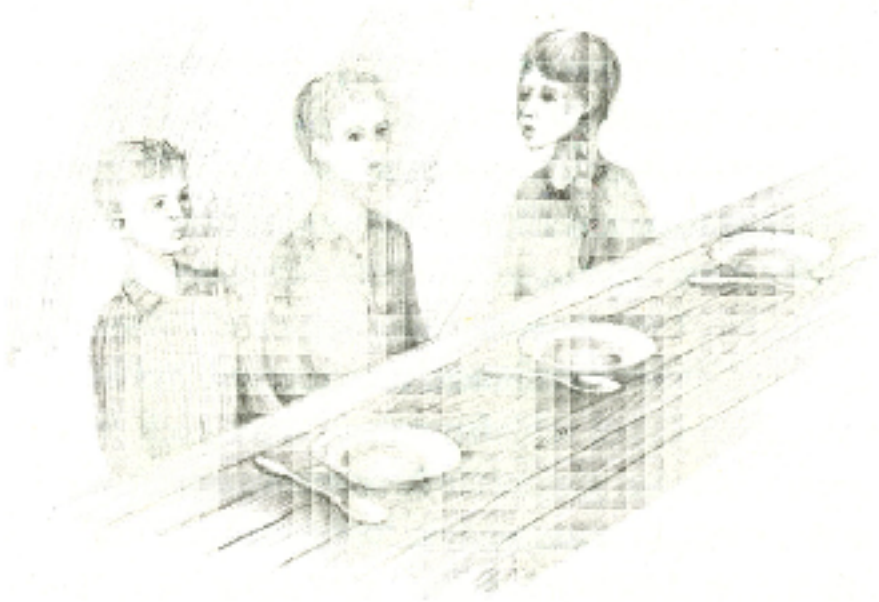

كان ذلك اليوم طويلاً. الكل كان حزيناً وتركت دموع الحزن آثارها على الوجوه. كالفراخ الصغار يشعرون بهاجس دنو الصقر في الجو ويسرعون الى تحت اجنحة الام للاحتماء، هكذا شعر الاطفال المرتعبون خوفاً بان شيئاً مروّعاً كان سيحدث. فالتفّوا حول مربّيهم ممسكين بأياديهم باحكام وكانوا محبّين لهم بشكل خاص.

كان الاطفال يسألون مراراً وتكراراً: «لن يحرمنا أحد منكم؟ لن يقتلونكم؟ أليس كذلك؟».

بعدها صار المساء فحان وقت الذهاب الى الفراش. كالعادة قُرِعَ الجرس الذي يذكّر الاطفال بتهيئة

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

أنفسهم للنوم. جاء جميع الاطفال كما هو مألوف للاجتماع في الغرفة الكبيرة للصلاة. لم يريدوا ان يذهبوا للفراش دون صلاة. لكن بعد اقناعهم بشكل ودّي عادوا بحزن وبهدوء الى غرف نومهم. باستثناء جورج ابن السنتين الذي لم يشأ أن يطيع مربيّته. عدة مرّات حاولت ان تضعه في الفراش الصغير، لكنه عاود النهوض، سجد، طوى يديه الصغيرتين مُترجّياً والدموع في عينيه الجوزيتين الواسعتين: «رجاءً، عمّة، صلّي معي!».

كانت المربيّة في صراع مع مشاعرها لبرهة من الزمان. شعر الاطفال بالأسف نحوها. بعدها لم تستطع تمالك نفسها فهرعت الى خارج غرفة النوم والتنهّد مكبوت في داخلها لكي تبكي بعدها بلا انقطاع.

الصغير كان حائر جداً بسبب ما حدث ورفع صلاته وحيداً ثم اضطجع ونام.

اصبحت الحياة في دار الاطفال اصعب من يوم الى يوم. غالبا ما كان مفتشون يتردّدون على الدار ويسألون الاطفال على انفراد ان كان احد ما قد صلى معهم او حدّثهم عن الاله. أصبح الكبار جرّاء تهديدات مروّعة مُطالبين بتربية الاطفال بطريقة معادية للدين. عرّض العاملون حياتهم للخطر ومكثوا في الدار فقط على رجاء حماية الاطفال من الخراب الوشيك، حيث اضطرّوا لمكابدة طغيان الحكومة والاذلال. لم يكن بمقدورهم الحصول على القوة المطلوبة لأداء واجباتهم اليومية الاّ من عند الاله فقط.

المعركة من أجل نفوس الاطفال

كان الشتاء في هذه السنة قاسياً على غير العادة مصطحباً معه الكثير من الثلوج. الكتل الثلجية الهائلة كانت قد شلّت حركة السير في كل مكان. أضطر الناس الى البقاء في المنازل لتجنّب الانجماد او التعرّض لعاصفة ثلجية قد تثور عدة ايام وتطمر كل شيء تحتها. في القرى بلغت حركة السير حالة شبه التوقف التام. كانت العربات تتحرّك ببطئ مع صعوبات كبيرة.

حالما ثبتّت اقدام الحكومة السوفييتية في روسيا أوضحت ان كل شيء في البلاد هو ملك عام للشعب — كل شخص له الحق في نصيبه. لذلك تمت مصادرة قطع الاراضي، المصانع، المناجم وكل المنشآت الاخرى من مالكيها السابقين بالقوّة. وقد شمل هذا سكك الحديد ايضاً.

من اجل ان تضم الحكومة الشعب الى جانبها اعتبرت ان فئات المسافرين في القطارات غير شرعية،

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ومن الآن فصاعدا توجد فئة واحدة فقط. ايضاً لا حاجة بعد لاحدهم ان يدفع اجرة لو أراد السفر بالقطار. من يريد السفر يحتاج فقط الى مواهقة خطّية من الدائرة المعنية. لم يمض وقت طويل حتى انهار نظام السكك الحديدية باكمله تماماً. لم يعد هناك سوى قطارات بالمجّان. سوّاق قطارات غيرمؤهلين وبلاخبرة كانوا غير قادرين على قيادة القطارات بشكل صحيح. القطارات الخاصة بالمواد الغذائية، التي غالباً ما كانت تنقل القطعات العسكرية، كانت تسير ببطء شديد بسبب الكتل الثلجية. وبسبب مصادرة مناجم الفحم الحجري من أصحابها ونضحها الشديد للماء، اصبح تجهيز الفحم شحيحاً. غالباً ما اضطرت القطارات الى الوقوف عدة أيام بسب شحة الوقود. من أجل الاستمرار بشكل او باخر، قام سوّاق القطارات بتفكيك كل شيء قابل للاشتعال — بما في ذلك عتبات سكك الحديد وأبنية شركة السكك الحديد السابقة.

واذ لم تعد هناك قطارات لنقل الركّاب، حاول الناس المتضوّرون جوعاً العثور على مخبأ في عربات نقل البضائع القذرة للغاية. وكانوا يتنقّلون فيها من مكان الى اخرى على أمل العثور على أي شيء يمكن تناوله. هذه العربات لم تكن مزوّدة بالتدفئة لذا عانى المسافرين الفقراء من البرودة اللاّسعة. اضافة الى ان العربات لم تستطع ان تستقبل جميع المسافرين. لذا حاول الكثير التسلّق الى السطوح، بعضهم وقف على عتبة الباب او على حلقة الوصل بين العربات، البعض التصق بالقاطرة التي تجر عربات القطار او بأي شيء اخر بحسب ما تيّسر الحال. كان الحرّاس عند كل محطّة قطار يبعدون بلارحمة كل الذين يسافرون على هذه الشاكلة. لكن حالما يبدأ القطار بالتحرّك، يستعيد الناس مواضعهم مرّة اخرى باستماته.

تجمّد الكثير من المسافرين ولقوا حتفهم في اغوار الثلوج المحاذية لسكة الحديد. البعض مات في داخل العربات. فكانت الجثث تُلقى ببساطة في الثلوج عند المحطة التالية. في بعض الاماكن كان الثلج عميق للغاية، مما تتطلب حفر معبر ضيق لمرور القطار. هذه المعابر كانت في بعض الاجزاء ضيقة جداً مما ادى الى دهس الناس الملتصقين بالقاطرة وبالعربات ومواجهتهم موت فظيع تحت العجلات.

بعض الآباء والامّهات ممن اصابهم اليأس تركوا اطفالهم الجياع في البيت وحدهم وشقّوا طريقهم ليفتّشوا لهم عن طعام لقوا حتفهم بهذه الطريقة ودفنوا في مقابر جماعية اذ لم يعد ممكناً فحص حالات الوفيات الكثيرة والتعرّف على جثثها جميعاً. لم يعرف الاطفال المتروكين قط تحت أية ظروف مات بها اولياؤهم.

خاضت القاطرة طريقها بمشقّة بين اكوام الجليد لكي تصل بالقطار مع الجنود الى المكان المقصود.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

برغم العاصفة الثلجية الهائجة والبرد الجليدي حاول العديد من الناس التسلّق على القاطرة وتثبيت انفسهم باي وسيلة كانت. كانوا يفعلون ذلك عدة مرّات على الرغم من ضربهم من قبل رجال الشيكا* المسلّحين عند كل محطّة.

في أحد الأيام ومن بين هؤلاء الناس النصف منجمدين كان هناك شاب عمره قرابة الـ ٢٦ عاماً متكأً على المرجل البخاري الساخن. اصبح ظهره بسبب الصقيع المتجمّد مخدّراً وفاقداً للحس. عندما تحرك القطار الى الأمام، قاسى جسده البرودة المخترقة، لكن لم يكن هناك شيء يثني من عزيمته. كان يجب عليه الوصول الى هدفه لا محالة — العاصمة.

عندما شرع القطار بالسير، كانت الريح تصفر بشكل اقوى مارّة من خلال عظامه. في المحطة التالية غادر العديد من المسافرين امكنتهم الغير مريحة على القاطرة لينتظروا القطار التالي عسى ان يجدوا موطأ قدم أفضل او يبحثوا عن طعام في القرى المحيطة.

قرابة المساء لم يعد الشاب قادراً على الوقوف على قدميه. ارخى نفسه رويداً رويداً بجانب المرجل البخاري. كانت فتيلة حياته الخافتة في جسده المنهك تماماً تتصارع مع الموت الجليدي.

كان له بضعة سنين منذ ان اصبح احد أولاد الاله. ومنذ يوم رجوعه صار يبشّر الناس بانجيل السلام والفرح الذين رزح وطنهم بشدّة تحت براثن العداء، الكراهية، والقتل. بضعة مرات تعرّض لخطر الموت في اثناء كرازته، لكنه لم يخف لان الموت كان بالنسبة له محطة عبور من هذه الحياة

*لجنة خاصة بشؤون الامن القومي

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الى حياة اخرى أبدية ومجيدة مع ربّه. أما الآن فقد شغلت فكرة اقتراب الموت قلبَه بحزن عميق لانه لم يصل الى العاصمة ولم ينجز مهمّته بعد.

تحرّك القطار ببطء الى الأمام، فعقعت العجلات برتابه على قضبان الحديد المغطاة بالثلج. كانت البرودة تشتد دائماً. فخشي المسافر أنه لن يبقى على قيد الحياة ويقوى على الوقوف مجدّداً. صرخ للنجدة، لكن الريح حملت كلماته بعيداً — لم يسمع احد نداءه. حتى لو سمع سوّاق القطار صوته لما أتوا لمساعدته لان الموت بالانجماد كان من الطبيعي جداً حتى بدا الأمر وكأنّه من غير الممكن ببساطة الاكتراث بكل بائس فقير.

اصاب الشاب شعور لطيف بالاعياء لا يمكن مقاومته. شخصت حياته بالكامل فجأة امام نصب عينيه. بقناعة راسخة منه بانه سوف يموت من الانجماد على نحو بطيء لكن اكيد، سلّم الشاب مهمّته الغير منجزة الى يد الرب: «ربّي والهي، خلّص الأيتام الصغار، الذين من اجلهم تغادر نفسي جسدي الآن. أقبل روحي بالنعمة يا أيها الآب». ثم انخفض رأسه اذ لم يعد يقوى على مقاومة الرقود.

فجأة سُمع صوت دوي صافرة القاطرة في العاصفة الثلجية، ومن مكان بعيد سُمعت أصوات تصرُخ: «محطّة، محطّة!». اعادت أصوات الصافرة المدويّة والنداءات الجيّاشة المسافر النصف متجمّد الى وعيه مجدّداً. لقد ساعدت فكرة احتمال عثوره على بيت مريح في الجوار، يمكن للمرء ان يجد الدفء فيه مجدّداً، على ايقاظ حواسه المصابة بالذهول وأمدّته بقوة جديدة. توقّفت القاطرة المتجمّدة والمثلّجة بقرب مبنى المحطّة على نحو مفاجئ.

كان على الرجل الشاب ان يتمالك نفسه بكل ما أوتي من قوة لكي يغادر موضعه الغير مريح لهذه الرحلة المؤلمة في قطار سكة الحديد البارد. كان يعلم بوجود عائلة مؤمنة تسكن بجوار محطّة القطار، التي سبق وأن استقبلته عدّة مرّات بحفاوة.

صرخ الشاب الى الأله: «أيها الآب السماوي، أعطني قوّة كافية لكي أصل بها الى الناس الأحبّاء. لك المجد لاجل كل شيء!» ونزل ببطء من القطار.

كان ذلك قبل طلوع النهار بقليل. واذ كان الظلام لايزال قاتماً هناك، الاّ ان بعض الشبابيك المغطّاة بالثلج كانت مُضاءة، ومن مكان ما أعلن صياح الديك بزوغ فجر جديد.

عادت المدينة النائمة الى الحياة والثلوج مازالت تهطل بلا انقطاع. كانت تُسمع هنا وهناك اصوات صرير الأبواب وضرب بالمجارف — حاول الناس تأمين الطرقات الى بيوتهم بالمجارف من بين الاكوام الثلجية.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لكن كل شيء كان لايزال ساكناً في بيت عائلة بيترو — لازال الكل نائمين هنا. فجأة تم سماع صوت طرق خافت وبالكاد مسموع على شبّاك النافذة. كان هناك في الخارج شخصاً واقفاً، لاتقوى قدماه على حمله بعد، يرتجف من البرد وينتظر جواباً.

«من هناك؟»، صاح صوت نائم من داخل المنزل.

"اخ بيترو، هذا أنا — س. أتوسّل اليك، بمشيئة الاله، دعني أدخل بسرعة. — أكاد أموت من الانجماد!

بعد لحظات قليلة تم سماع صوت خطوات أقدام وتم فتح الباب بشيء من الجهد بسبب الثلج الكثير. «هل انت هو حقاً؟ في عاصفة مثل هذه!». استقبل بيترو ضيفَه بفرح. «تعال، وادخل بسرعة». «حمداً وشكراً للاله!»، أجاب صوت خافت. "مرّة اخرى خلّصني من موت محقّق! لكن أرجوكم ساعدوني. لا أقوى بعد على تحريك قدميّ.

«ما عساه ان يكون؟ ليساعدك الرب، انت حقاً شبه متجمّد من البرد!» صرخ بيترو مُتأثراً. امسك الشاب من تحت ذراعيه وسحبه الى داخل المنزل. في غرفة دافئة فقد الضيف وعيه وأغمي عليه منطرحاً على الأرض.

لم يلاحظ بعدها كيف ان اخوته بالايمان خلعوا عنه ثيابه المتجمّدة وحملوه الى فراش دافىء.

نام الشاب حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، اذ خيّم المساء على المدينة. «أنا جائع»، كان اول ما خطر على باله لانه منذ زمن طويل لم يأكل شيئاً. في تلك اللحظة دخل الأخ بيترو الى الغرفة وحيّا ضيفَه بحرارة. «الحمد للأله!» صاح بيترو. «كم نحن سعداء لانك عدت الى وعيك أخيراً». لقد نمتَ مثل المرموط! اذ جئت الى هنا في الغرفة عدة مرّات. مسحناك بالكحول لكنك لم تلحظ اي شيء من ذلك. أنها لأعجوبه من الاله كيف ان قدميك ويديك لم تتجمّد. الحمد والشكر للاله لأجل هذا!".

«أشكر الرب من كل قلبي اذ مازلت على قيد الحياة. اعتقدت اني لن أنجو هذه المرّة. لم يكن بقائي على قيد الحياة مهماً بالنسبة لي كهذه المرّة، لأن اليتامى الصغار كانوا باشد الحاجة الى المساعدة. قمت بهذا المشوار لأجلهم. لكن الان سيكون كل شيء على ما يرام.»

بعد ما استعاد عافيته في ثلاثة ايام، واصل الشاب رحلته مرة اخرى اذ استقلّ أحد القطارات المجانية العابرة. كانت الرحلة شاقة وخطرة للغاية، لكنه كان يتذكّر الأيتام فتحمّل كل الصعوبات ببسالة. لم تكن رؤية السلطات وهي تحاول جاهدة اقحام قوانينها الخاصة الى دار الايتام تدعوه الى الاطمئنان. بدا الأمر له واضحاً، انه يعني الفساد والخراب للأطفال. لذا عزم الشاب، الذي سبق وان أعان دار

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الأيتام في الضيقات مرّات عديدة، على ان يغامر بحياته وان يأخذ الرحلة نحو العاصمة على عاتقه. كان يبتغي العثور على مساعدة هناك لحماية الأطفال من مصيرهم الرهيب.

استغرق سفره لأكثر من اسبوع تاركاً وراءه مسافة ٦٢٥ كيلومتر. أخيراً وصل الى العاصمة ليبحث عن دائرة التربية والتعليم. حصل على موعد مقابلة مع رئيس قسم الدعاوى الاجتماعية وتربية الأطفال.

كان المشرف رجلاً في متوسّط العمر بملامح وجه قاسية، جالساً خلف مكتبه. وكانت خرائط المناطق معلّقة على الحائط ومؤشّر عليها مواقع دور الأيتام والمدارس الداخلية.

بتعالٍ وازدراء استمع الى طلب زائره ثم ثار غاضباً: «أنت والمربّون امثالك ينبغي أن يعلّقوا على أقرب عمود تلغراف! انتم تظلمون نفوس الأطفال! تريدون ان تستعبدوهم لنظام الرأسمالية! لن تحصل منا لا على موافقة ولا على مساعدة، بل يمكنك الحصول بدلاً من ذلك على رصاصة او سوط منا!».

«سيادة المشرف المحترم، انت على خطأ جسيم» جاء الجواب الهادئ، لكن الحازم من المسيحي. «لقد راقبنا عن كثب كيف قمتم بتربية الأطفال في هذه الأشهر. اذ عقدنا مقارنة بين الأساليب التي لكم والتي لنا، اذ سبق وان أثبتت جدارتها منذ سنين. لقد وصلنا الى قناعة انه ليس نحن المُضطهِدين بل انتم. لسنا نحن الطغاة، الذين تؤمن بالأله، بل انتم، الذين تحتقرون كل ما هو مقدّس. تربّون الأطفال في دور الأطفال التي استوليتم عليها ليكونوا عبيداً لخطيئة ولعادات سيئة. نحن لا نجبر الأطفال على الأيمان بالأله، لكن نربّيهم على العيش في مخافة الأله دون نفاق او تهديد. أما انتم فتزرعون بذور الالحاد (انكار وجود الاله) في قلوبهم الصغيرة بالقوّة، بالنفاق وبكل الحيل الاخرى بمكر.»

«لديك كل الحق يا رفيقي.»، قال المشرف. «شكراً على الصراحة! هذا صحيح — نحن ايضاً مُضطهِدون. لكنّنا نضطهد نفوس الأطفال الآن لكي يبقوا أحراراً طيلة حياتهم القادمة من أي تأثير ديني! نسعى بكل وسيلة ممكنة لأقناع الجيل اليافع بعدم وجود اله. أضافة الى عدم السماح بوجود اغنياء او نبلاء. ينبغي على الجيل اليافع ان يدرك انه لا يوجد شيء اسمه خطيئة. لذلك لن يكون هناك في المستقبل شيء اسمه دينونه او حياة ابدية. أيضا لايوجد بعد الآن مصطلح اسمه »قداسة«. الشيء الوحيد والمهم هو العلاقات السويّة بين الناس. نحن الشيوعيون استطعنا بمساعدة هذه الفلسفة خلع النبلاء والأغنياء من عروشهم وحتى الاله من عرشه السماوي وسننجح في هذا أيضاً!».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

توقف لبرهة ثم حدّق في ضيفه واستطرد قائلاً: «سنناقش طلبك في الأجتماع القادم، لكني مسبقاً أقول لك: لن تحصل على موافقة بالعمل مع الأطفال ما لم تغيّر تربيتك وفق تعليماتنا! قرارنا سوف يُرسل الى رئيس اللجنة الأقليمية وسيتم اعلامك بذلك فيما بعد. ومع ذلك أنا مندهش للغاية كيف ان اطفال في مؤسسات عدّة مازالوا مصابين بتسمّم الأفيون الديني حتى بعد مضي ستة اشهر من أعتماد المرسوم. بامكانك الرحيل، يارفيق س!».
اكتنف الحزن والأسى قلب صديق الأطفال حينما غادر بخطوات متمهّلة مكتب الرجل، الذي كان مسؤولاً عن تقرير مصير ملايين الأطفال من لاحول لهم ولا قوّة في كل البلاد. اذ كان مصير دار الأيتام الذي شغل حيزاً خاصاً من قلبه في يد هذا الرجل أيضاً. في الحال تشخصت امامه وفي بالهِ صورة المستقبل البشع بشكل واضح: بلاد مليئة بأناس بلاضمير وبلا أخلاق. بلاد تسيل فيها الدماء، الاضطهاد، والخراب من كل نوع. بلاد ترفض كل شيء صالح، طاهر ومقدّس. بلاد تدفّق فيها سيول من الشر، الكراهية والعداء حتى نحو كل الشعوب الأخرى.
«يالأله! احفظ بلدنا من هكذا مستقبل شنيع! خلّص هذا العالم من الفوضى القادمة برحمتك ورأفتك العظيمة! احفظنا من عواقب هذا الشر!» صلى الشاب هكذا بهدوء في أثناء مروره في رواق المبنى الحكومي الضخم.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

كم كانت الرحلة الى هنا شاقّة وخطرة! كم من المعاناة كان ينبغي عليه تحمّلها على امل شعاع ضعيف بمساعدة الأطفال. كان عليه العودة مرة اخرى حزيناً، لأن كل جهوده ذهبت سدىً. وانطفأ آخر شعاع من الرجاء لديه. لم يعد هناك شيء يمكنه ايقاف الكارثة عن الأطفال ودارهم.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

تحت براثن الشيوعية

بعد مرور شهرين تسلّم مدير الدار دعوة تحريرية بالحضور الى الحكومة الأقليمية التابعة للشيكا. كان ينبغي ان يخضع لاستجواب صعب هناك. تم ابلاغه باهانة لاذعة وتهديد، بان دار الاطفال ينبغي تسليمه لأيدي الحكومة من الآن فصاعداً. ينبغي طرد الاله والدين الى خارج اسواره. صرخ رئيس اللّجنة يوجه مدير الدار قائلا: «عليك ان تتخذ قراراً! امّا أن لا يكون للاله مكان بعد في دار الاطفال أو نحرقك في مكانك مع كل آلهتك سوية!».

بعد مرور عدة أيام جاء مدير الدار الجديد بصحبة اثنين من الشيكا المسلّحين. طلبوا من مؤسّس الدار وكل العاملين معه الذين اعتنوا بالأطفال بمحبّة شديدة حتى ذلك الحين، ان يغادروا المكان في الحال، لأن الحكومة قد عيّنت آخرين لهذه المهمّة.

قامت الأدارة الجديدة بتغيير كل المناهج ومبادئ التربية في الحال. اتّكل المدير السابق والعاملون معه على الاله وعلى معونته في كل احتياجاتهم. كانوا حريصين على غرس الايمان الحقيقي في قلوب الأطفال حتى يتمكّنوا من الاتكال على الأله في جميع مواقف الحياة.

مع ذلك حاول المربّون الجدد منذ اليوم الأول ازالة هذه البذرة وتدميرها. حاولوا تدمير الايمان البريء وحقن القلوب الصغيرة بمفاهيم الالحاد عوضاً عن ذلك.

لاجل تحقيق مآربهم فكّروا بكل انواع التجارب وبمكر شديد. على سبيل المثال: في أحد الأيام، كان على الأطفال الجلوس على مائدة غداء فارغة. بعد فترة دُعي الأطفال للصلاة الى الأله من أجل الحصول على الغداء. حنى الأطفال رؤوسهم بالفعل للصلاة، لكن الموائد ظلت فارغة. عندئذ قيل لهم انه لايوجد شيء اسمه اله وبسبب ذلك أيضاً لم تكن مائدة الطعام هناك. بعد ذلك قيل للاطفال ان يصلّوا الى لينين. أحد النساء صلّت الى لينين من أجل توفير الغداء للأيتام الفقراء وبدأ الأطفال بتقليدها. في اللحظة التالية تم جلب الطعام. قيل للأطفال بان لينين هو صديق لكل الناس الفقراء وبانه يعطي الطعام للأيتام.

بعد استبدال كل عاملي الدار بآخرين جدد واجراء الكثير من التغييرات الأخرى، تلاشت معها ايضاً المحبّة المسيحية الطاهرة للأطفال.

كان العاملون السابقون يقادون من خلال محبّة المسيح ويعملون طوعاً بلا مقابل. أما الآن فقد

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

حلت الصرامة القاسية والتوبيخ اللاذع محل هذه المحبّة. اصبحت الحياة في دار الأطفال شيئاً مختلفاً تماماً. في معظم الأحيان كان الأطفال مُهمَلين بينما مديرة الدار، وهي شخصية مربية، والمربّيات كنّ يتسلّين ويتمازحن مع الشيكا ومع الجنود المعسكرين في الجوار. في السابق كان الفتيان ينامون في غرف منفصلة عن الفتيات، أمّا الآن يجب ان يناموا سويّة دون أي تحفّظ. عند الطعام ينبغي ان يتقرّبوا من بعض على شكل ازواج — فتى وفتاة.

عوضاً عن درس الكتاب المقدّس تلقّى الأطفال درس الرقص. كان يتم تدريبهم على اغاني ثورية ومعادية للدين كي تحل محل صلوات الصباح والمساء والصلاة على مائدة الطعام.

سرعان ما اعتاد معظم الأطفال على نظام الدار الجديد. حتى ان البعض كان يروق لهم هذا لانه لم يكن احد ينتبه اليهم او يعاقبهم عند عدم الطاعة او اساءة التصرّف.

لم يمض وقت طويل حتى جلب النظام المتراخي ثماره الرديئة. فنقص التغذية، وعدم النظافة، والفوضى، والثياب المتّسخة أدّت كلّها بالتالي الى مجموعة مختلفة من الأمراض.

صحوة الضمير

بدا أحد الأولاد، وهو الآن فتى بعمر حوالي ١٢ عاماً، وكأنّه شخص آخر تماماً. بعد دخول النظام الجديد بقليل اصبح فجأةً هادئاً، عميق التفكير واكثر جدية. في العامين الماضيين كان يُنظر اليه كقائد للشر او متعدٍّ على قوانين الدار. لكنه الآن يحاول التملّص من الألعاب والملذّات التي كانت تُعرض من قبل الأدارة الجديدة ويميل الى العزلة. غالباً ما كان يتسلّل الى سطح الدار او الى القبو بوجه حزين حيث كان مُغتمّاً وكتوماً.

كان هذا الفتى الوحيد والّلافت للنظر هو فالتر الأعرج. كان مُستاءً بالمرّة من المربّين الجدد والقوانين الجديدة. سرعان ما لاحظَ مع الأطفال الآخرين الفرق بين المربّين الحاليين والسابقين وبين أساليبهم. عندئذٍ عقد مقارنة بين الماضي والحاضر وتوصّل الى قناعة بأن كل شيء كان يزداد سوءاً.

بسبب أعاقته كان امراً هامّاً بالنسبة لهُ ان يكون محبوباً! هذه المحبّة التي قوبل بها من قبل المربّين السابقين في الدار منذ اليوم الأول وحتى اللحظة التي تواروا بها من خلف البوابة الحديدية الضخمة. كم اختلف كل شيء منذ ذلك الحين! لقد تغيّرت العلاقة بين المربّين والأطفال بالكامل. اذ لم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

يعد المربّون يهتمّون بالأطفال. لا أحد يعتني بهم — ناهيك عن فالتر، الأقل حظاً بينهم! شعر مرّة اخرى بالمحيط البارد الذي كان يحيط به عندما كان في بيت أبيه في الماضي.

نتيجة لما مرّ به استيقظ ضميرُه فجأةً وثما في قلبه شعور بالذنب. ندم الآن كثيراً على كل ما سبّبه من ألم كبير للذين كانوا يحبّونه بصدق وبمودّة. غالباً ما كان يسترق السمع دون علم مربّيه كيف كانوا يصلّون لاجله. وجب عليه الآن ان يفكّر مراراً وتكراراً كيف كان يسخر من هذا الأمر. لقد اغاضته محبّة مدير الدار والمربين في ذلك الوقت حتى اوقظت الرغبة الوحشية في قلبه لاصابتهم بالأذى والاساءة اليهم.

تذكّر فالتر الآن كيف كان يحضر بامتعاض الى مدرسة الأحد على مضض، وكيف كان يستمع بامتعاض عندما كانوا يحدّثونه عن الأله وعن المخلّص يسوع المسيح، وكيف كانت قراءة الكتاب المقدّس تزعجه. كان على فالتر ان يتذكر احدى الحوادث بشيء خاص من مشاعر الندم. اذ اعطى مدير الدار قبل اسبوعين من اقالته الجبرية لكل طفل قادر على القراءة كتاب العهد الجديد كهدية. أمّا فالتر فقد طُلبَ منه أن يأتي الى غرفته. هناك اجلسه مدير الدار في حضنه وابتدأ يتطلّع فيه وقتاً طويلاً. غمرت الدموع عينيه. كيف استطاع فالتر ان يبغض تلك النظرة الثاقبه! نفض نفسه واراد الهروب لكي يخبئ نفسه في اي مكان. توغّلت هذه النظرة في اعماق قلبه. بعدها احتضنه مدير الدار وقبّله على وجنتيه وجبهته. أهدى فالتر كتاب العهد الجديد في محفظة جميلة وقال: «كم أتمنّى ان تبدأ بقراءة هذا الكتاب وأن تسمح للأله بأن يغيّر قلبك لكي تصبح كما يريدك الاله ان تكون، فالتر. ابني، تذكّر بأني احبّك. لا تنسى أبداً ان الاله يحبك أيضاً. عندما تصبح الحياة صعبة عليك، اذكرني كصديق حميم. ينبغي ان تعلم اننا نصلّي من اجلك دائماً».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

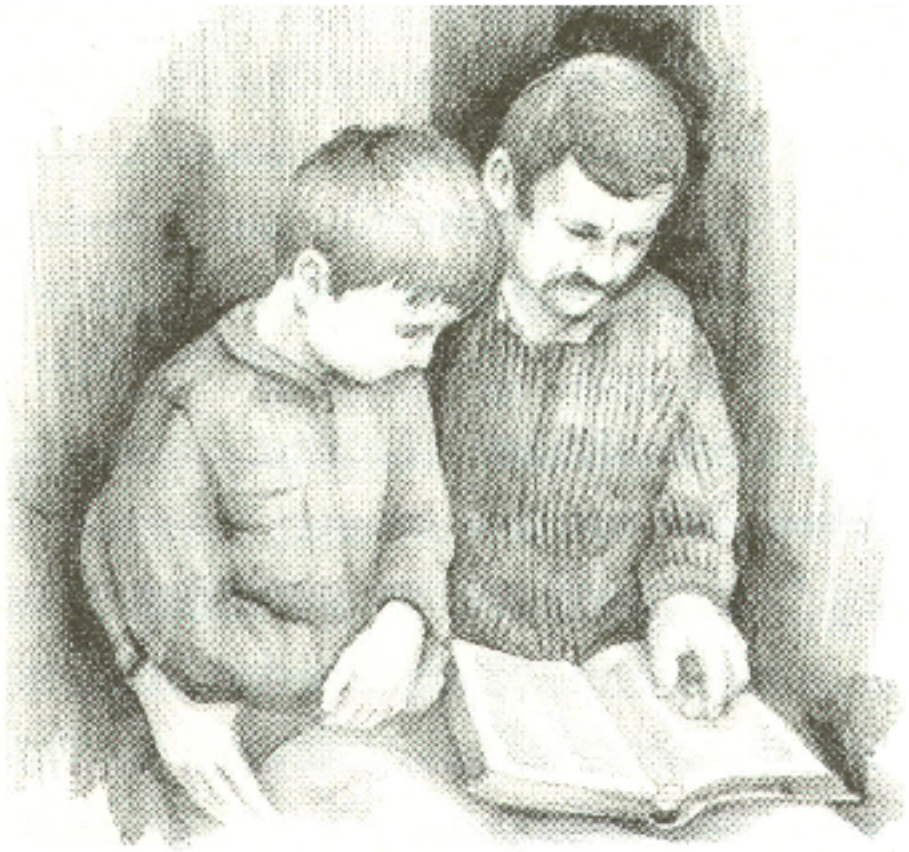

في ذلك الوقت تمنّى فالتر شيئاً واحداً فقط — ان يكون طليقاً باسرع وقت ممكن، لكن يرمي تلك الهدية البغيضة الى أبعد ما يكون. كان سعيداً برحيل هؤلاء الناس عاجلاً، الذين أحبّوه وصلّوا من اجله باستمرار. بالرغم من أنه اراد قول ذلك لمدير الدار في وجهه وبعلو صوته، لكن قوة ما منعته من ذلك.

كم عليه الآن ان يخجل من ذلك! ترك الغرفة بدون كلام حتى بدون كلمة شكر واحدة للرجل الصالح على كتاب العهد الجديد. لكن من الغريب جداً انه لم يرمِ الكتاب.

والآن كم هو الفرق كبير بين الادارة السابقة والحالية! المديرة الجديدة كانت امرأة وبصحبتها اثنين من الجنود الذين كانت وجوههم تشهد على حياتهم الخاطئة. كان فالتر يكرههم بسبب وحشيتهم ووقاحتهم التي من خلالها أمروا مدير الدار السابق بمغادرة الدار في الحال. لم يسمحوا له بأخذ حاجياته الخاصّة ولا حتى بتوديع الأطفال.

شعر فالتر في ذلك الوقت بشعور غريب في قلبه. للمرة الأولى شعر بمحبّة تجاه ادارة الدار. غير مُبالياً

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

بالحظر ذهب الى الشخص الذي كانوا يدعونه بابا. وضع يده على كتفه وقال: «اتمنّى ان اسمع عنك خيراً». لم يُسمَح له بان يستمر بالحديث، لكن فالتر رأى دموع غزيرة تجري على وجنتي الرجل وشعر بألم في قلبه لم يختبره قبل ذلك الحين.

حالما بدأت العربة بالتحرّك وفيها مدير الدار، التصق فالتر بها وكأنه يريد ان يوقفها. لكن صيحة المديرة ارجعته الى وعيه مجدّداً — لقد أخذ النظام الجديد حيّز التنفيذ. وبينما كان يحدق الى العربة شعر بانه يتمزّق الى أشلاء. وظلّ هذا الحزن في قلبه حارماً اياه من الراحة والسلام.

«نعم»، فكّر الغلام، «كل شيء قد انتهى الآن. الان يحكمون هؤلاء الناس الجدد هنا، الذي يعيّروننا ويسخرون من المربين السابقين لأنهم آمنوا بالاله. لايقرّون بوجود اله ويربّون الأطفال على التجديف!».

لاحظ فالتر أنه حالما يخلد الأطفال للنوم يأتي الجنود الى الدار. وغالباً ما كان يسمع صوت قهقهات وصوت لعن عالٍ من الغرفة التي تحت غرفة نومه. بعض الأحيان كان يرى أيضاً كيف كان المربّيات يشربنّ الخمر والأطعمة الشهيّة بينما كانت قوى الأطفال تخور تماماً بسبب الجوع.

صلاة فالتر الأولى

في اثناء مراقبة فالتر للمديرة والمربّيات الجدد، توصّل الى قناعة بان شرّهم وخلاعتهم كانا لسبب واضح — عدم ايمانهم بالأله. لم يكن العاملون يحبّون الأيتام الصغار ولم يعتنوا بهم للسبب نفسه — اذ لم يسكن يسوع المسيح في قلوبهم. والاّ فكيف يمكن تفسير التغيير الطارئ في دار الأطفال منذ رحيل بابا والعمّات؟ كانوا يحبُون الأطفال ويهتمّون بكل واحد منهم لسبب وحيد وذلك لأنهم آمنوا بالاله وارادوا ان يطيعوا سيّدهم في كل شيء.

هذه الأفكار حثّت فالتر على ان يمتحن حياتَه. فجأةً بدا له الأمر جلياً بأن قلبه كان خاطئاً لانه لم يكن مُلكاً للرب يسوع. وليس ذلك فقط. بل كان يبغضه جداً بقدر هؤلاء الناس الجدد. تذكّر فالتر كيف انه تمرّد على مدير الدار وعلى العاملين معه لانّهم كانوا يصلّون من أجله.

في أحد الأيام وبينما الشوق الى المربين، الذين كثيراً ما أساء اليهم في السابق و الآن يفتقدهم، قد احزن قلبه جداً، تسلّل فالتر ببطء الى أبعد زاوية من حديقة عائدة لبقايا مبنى قديم، حيث لا

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

يحوا فيها الآن سوى الحشائش والأشواك. استطاع هناك ان يختلي بنفسه. لم يكن يُسمع في الخلوة سوى تغريد العصافير. بعد اجتيازه الطايوق المبعثر والأشواك الكثيفة المترامية وصل فالتر الى الغرفة التي كانت عبارة عن قبو في السابق. كان قلبه يتمزّق من الم لايُحتمَل وضاق عنقه بسبب الدموع المكبوته. نحو قرابه المساء سجد ووضع جبتهه الساخنة على البناء البارد تاركاً الدموع تنهمر بحرّية، حتى بدأ جسمه يرتعش بالكامل. القلب المتغطرس والبارد صار لحماً تماماً من خلال الأقرار بالخطيئة. بكى فالتر طويلاً. فجأةً بعد ذلك شعر بأن الرب قريب منه جداً. للمرّة الاولى في حياته صرخ الى الاله.

« يارب يسوع أرجوك ان تسامحني! أنت تراني — أنا فتى خاطئ. انت تعرف أنني لم احبك ولم احب بابا ولا حتى اي شخص اخر. انت تعلم بكل خطاياي، وكل افعالي الشريرة. لكنّك مُتّ من أجلي، لذا أرجو ان تغفر لي، اغفر لي! سوف اخدمك، أياك وحدك فقط، اريد ان أحبك من كل قلبي. اريد ان اكون صالحاً ومطيعاً جداً، لا أريد بعد ان اؤذي أحد بشيء. ارجوك، ساعدني على ان اكون صالحاً. اغسل قلبي بدمك لكي يصبح نقياً وابيضاً تماماً كالثلج. انا مجرّد فتى أعرج، لم يحب احداً، سواك وبابا. لكن بابا اخذوه منّا، لذا كن بقربي يارب يسوع».

حالما غادر فالتر القبو البارد والمظلم، غمر قلبه سلام عميق وبهيج. للمرّة الاولى في حياته سكب قلبَهُ للرب يسوع ووجد الفرح أخيراً. وعند رجوعه بعد ذلك من نفس الطريق المار بالحديقة بدت له كل شجرة وكل عشب أجمل بكثير مما في السابق. حتى الطيور بدت وكأنها تغني بفرح وتسبّح الاله معه. شعر بان الرب يسوع كان يمشي معه وماسكاً بيده. حتى ان ساقه العرجاء لم تعد تعيقه أثناء المشي كالسابق. كل شيء قد تغيّر واصبح مُشرقاً بنور جديد ومجيد.

لقد طرأ تغيير رائع على قلب فالتر. اذ أمتلأ قلبه حبّاً نحو الأطفال الآخرين وحتى نحو العاملين الجدد الى الحد الذي مكّنه من ان يصلي لاجلهم عسى ان يجذب الجميع الى محبّة الرب يسوع. ويريد الآن ان يستغل كل فرصة ممكنة لمساعدة الآخرين.

لم تعد الألعاب المقيتة مع الأطفال الأخرين تروق له وكان يسحب نفسه اكثر واكثر من فعالياتهم. توقّف عن غناء الأناشيد الثورية وبالأخص تلك التي يُهان ويُعيّر بها أسم الاله.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

أبطال الأيمان الصغار

كان فالتر قد بلغ من العمر ١٣ عاماً وكان من الفئة العمرية الأكبر في دار الأطفال. كثير من الأطفال ممن كانوا يعرفون فالتر منذ البداية لاحظوا التغيير الكبير في سلوكه. لم تزل هناك عند البعض البذرة الصالحة التي تم بذارها من قبل الأدراة المسيحية لم تُقلع بالكامل. هؤلاء الأطفال تجمّعوا الآن حوله تماماً كالسابق عندما كان يقودهم في الطيش. اصبح فالتر بالنسبة لهم الأخ الأكبر والمرشد. غالباً ما كانوا يجتمعون في مكان ما في ركن هادئ لغناء بعض الترانيم التي تعلّموها من المربّين السابقين، خصوصاً عندما كان الآخرين يلعبون ويشاغبون في أيام الاحد والعطل. بدأ فالتر الآن، الذي سبق وان سمع بعض الوعظات في حياته وحضر اجتماعات الصلاة أيضاً، بقيادة مثل هذه الاجتماعات للمؤمنين الأطفال بنفسه. كان يقرأ لهم اصحاحاً من كتاب العهد الجديد ويدعوهم الى الخضوع للرب يسوع، وان يكونوا محبّين وطائعين ولا ينسوا تحذيرات بابا في السابق.

سرعان ما شكّل أتباع الرب يسوع الصغار هؤلاء، الذين أحبّوه من كل قلوبهم، تجمّعاً للأطفال الصغار تحت قيادة فالتر.

كلّما سنحت لهم الفرصة، كانوا يتسلّلون بالسر وبهدوء لحضور تجمع الصلاة، قراءة الكتاب المقدس سويّة، وغناء التسابيح ورفع احتياجاتهم وطلباتهم الى الرب يسوع.

كانت غرفة القبو لتلك البناية الخربة بمثابة مخبأ أمين لكتب العهد الجديد القيّمة — الهدية الأخيرة من بابا الحبيب الى اولاده. هنا بنوا لأنفسهم مكاناً للاجتماع من طابوق قديم وكتل حجرية محطّمة. لايكاد أحد يجازف بنفسه للدخول الى مكان خرب مثل هذا.

قام المربّون الجدد بمصادرة هدية مدير الدار الأخيرة من كثير من الأطفال، وقاموا بتمزيق كتب العهد الجديد، وأنذروا الجميع ممن يمتلكون مثل هذه الكتب لتسليمها باسرع وقت ممكن.

قرّر الأطفال الذين يحبّون الرب الاحتفاظ بكتبهم وتخبئتها ما بين طوابق البناية الخربة.

حاول المربّون استخدام كل الوسائل الممكنة من اجل زعزعة الأيمان في قلوب الأطفال المؤمنين. منذ رجوع فالتر وتوبته لم يعد يذهب الى الرقص او السينما أو اي فعاليات اخرى من هذا القبيل. لم يعد يساهم أيضاً في غناء الأناشيد الثورية. في أحد الأيام تكلّم مع زملائه حول هذا الموضوع

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

قائلاً: «كل هذه الأشياء هي خطيئة بنظر الاله. الرب يسوع نفسه لم يرقص قط وأيضاً لم يقل ان احداً ينبغي عليه ان يفعل ذلك. لم يذهب قط الى المسرح وأيضاً لم يقدّم عروضاً، لا للكبار ولا للصغار. لم يغن أناشيد تدعو للشر مطلقاً والتي تدعو الناس الى التمرّد على الاله او العداء فيما بينهم. كل هذا يتعارض مع تعليم الانجيل لذا فانه خطيئة. عندما كان بابا هنا، والذي كان يحب الرب يسوع ويخدمه، لم تُمارَس تلك الامور. كان يحثّنا على ان نكون صالحين، وان نساعد بعضنا البعض ونحب الرب يسوع من كل قلبنا وأياه نطيع».

«سوف لن نرقص بعد. ولن نغنّي أناشيد سيئة». قطع الأطفال وعداً بصوت واحد.

«سوف نُعاقب على ذلك»، أضاف فالتر. «لكن الرب يسوع قال في كلمته: ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم. أرى ان نُعاقَب بالحري، وأن نبقى أوفياء للرب يسوع. دعونا نصلّي للاله لعلّ المربّون يرجعون اليه ايضاً. هل انتم مستعدّون لان تتالوا عقوبة من أجل اسم الرب يسوع؟».

«نعم، فالتر»، أجاب الأطفال. «مكتوب في العهد الجديد ان يسوع المسيح قد تألّم من أجلنا، لذا سوف نتألّم نحن أيضاً من أجله».

دخل هذا القرار في حيّز التنفيذ. منذ ذلك الوقت، لم يشارك اي من هؤلاء الأطفال في الفعاليات التي تكلّم عنها فالتر.

التصرفات الغير معتادة لتلك المجموعة الصغيرة جعلت المديرة والعاملين معها في ريبة من الأمر. لاحظوا ان هؤلاء الأطفال يحبّون بعضهم بعض، وأنهم متحدّون فيما بينهم وعلى منأى من الآخرين. في البدء لم يثر هذا الشيء حفيظتهم، لانه لم يكترثوا كثيراً بما كان يحرّك الأطفال أو بأي شيء كانوا يصرفون وقتهم. لكن حالما اكتشفوا ان هؤلاء الأصدقاء الصغار لم يعد يغنّون الأناشيد الثورية ولا يشاركون في كثير من الفعاليات، قرّروا اللجوء الى التحايل لاجبار الأطفال على تغيير رأيهم.

الاضطهاد بحسب مشيئة يسوع المسيح

أعلن المربّون في يوم الأحد القادم سيكون هناك أستعراضاً وكل من يشارك بالرقص وبالأناشيد سيعطى حلوى جائزة له.

اجتمع اتباع يسوع المسيح الصغار في يوم السبت. وقرروا بان يصمدوا والاّ يخطئوا من أجل حلوى.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

في يوم الأحد امتنعت المجموعة باكملها عن المشاركة في الفعالية. أثار هذا بالطبع غضب المربين. سألت المديرة الأطفال المؤمنين: «لمَ لا تسلّون انفسكم؟ من يؤثر عليكم هكذا؟».
اجاب فالتر نيابة عن الجميع: «هذه خطيئة بنظر الاله! لايعلّمنا يسوع المسيح ان نخطئ ونحن نريد ان نطيعه».

ارادت المديرة الغاضبة ارغام الأطفال على الخضوع فقررت اتخاذ تدابير صارمة بهذا الأتجاه. ابلغتهم بانه في يوم الأحد القادم سيكون هناك مجدّداً استعراض آخر وحذّرت المجموعة بأن كل من يرفض المشاركة سيبقى عدة أيام بدون وجبة غداء.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

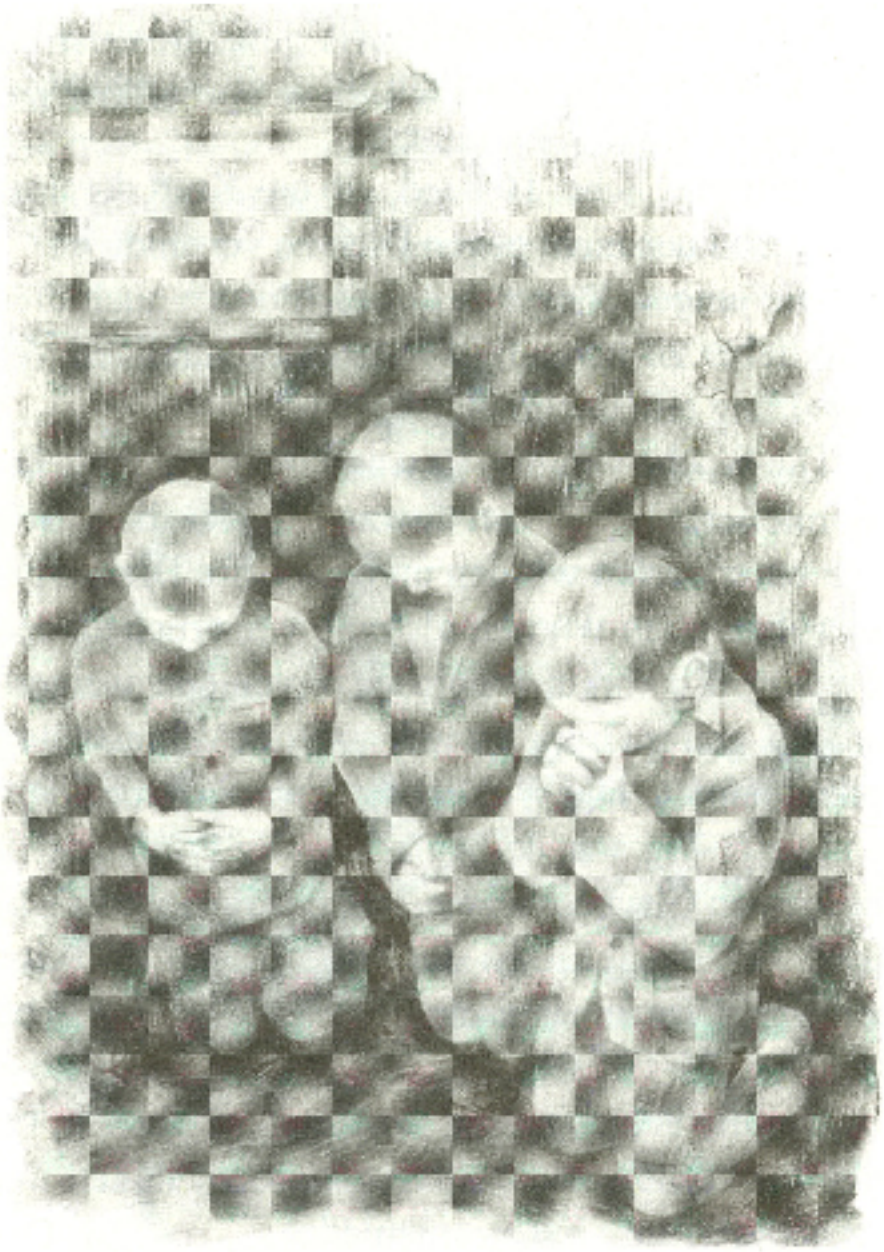

كان ذلك اختباراً عسيراً بالنسبة للأطفال المساكين الذين كانوا يعانون باستمرار من نقص التغذية. في الآونة الأخيرة أصبح الطعام اسوأ والحصص أصغر. لذا فان الأطفال الأيتام كانوا باي حال من الأحوال في جوع مستمر.

عند اول فرصة اجتمعت المجموعة في مخبأها للبكاء وللصلاة. أخبر الأطفال مخلّصهم كيف تمت

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

معاملتهم بظلم وقالوا له أيضاً بانّه الوحيد الذي بأمكانهم ان يشكو له معاناتهم. «يا مخلّص، أعنّا، اعطنا قوة للتحمّل وأن لا نخطئ اليك».

قرّر تلاميذ الرب يسوع الصغار هذه المرّة ان يختاروا الجوع على أن يشاركوا في احدى تلك المناسبات الخاطئة. مضى الأسبوع وجاء يوم الأحد مرة اخرى. كانت المديرة على قناعة بان الأطفال سيخضعون لها وان تهديداتها ستأتي بنتائج افضل من الوعد بالثواب. لدهشتها الشديدة رفضت المجموعة بالكامل مرة اخرى المشاركة في الفعالية. كان حنق المديرة بلاحدود. ذلك اليوم كان بدايةً لكثير من التجارب لأبطال الأيمان الصغار. عندما قُرع الجرس لتناول الغداء هرع الأطفال من كل جانب ليحصلوا على حصصهم الهزيلة من الطعام. لكن المؤمنون لم يُسمَح لهم بتناول الطعام. ولجعل التجربة أصعب، تم أمرهم بقرع الجرس ودعوة الاخرين لتناول الطعام.

في اثناء جلوس الأطفال الاخرين، اجتمع الأطفال المؤمنون في زاوية هادئة ومنعزلة. هناك جثوا على ركبهم وصلّوا الى مخلّصهم. بتواضع الأطفال البريء طلبوا من يسوع المسيح ان يساعدهم، ان يصمدوا امام الأختبار، أن يغفر للناس المسيئين وان يخلّصهم أيضاً. كانت المديرة والعاملات معها مستائين بشكل كبير عندما وجدوا ان لا المكر ولا الثواب ولا حتى العقاب القاسي كان ينفع شيئاً. عاملنّ الأطفال وهنّ في حنق شديد بأقسى وابشع ما يكون. في الغالب كانت المعاناة من حصّة فالتر.

اخبر أحد الأطفال الآخرين المربّيات بان المؤمنون كانوا سراً يقرأون الكتاب المقدس ويصلّون. منذ ذلك الوقت لم يُسمح لهم بالتجمّع. ولأنهم كانوا تحت مراقبة مستمرّة لم تعد شركة الصلاة ممكنة. نجحت احدى المربّيات النبهات في العثور على كتب العهد الجديد. ومزقتها الى أشلاء امام مرأى الأطفال.

طُلب من الأطفال الباقين ان يرجموا المؤمنين بالحجارة، ان يضربوهم وأن يهينونهم. تم مدح هؤلاء الأطفال واطلق عليهم اسم «القدوة النموذجيون» ومنحوا جوائز بمثابة «أنواط شجاعة».

تدمير الملاجئ

في الماضي عندما كان دار الأطفال مُكرّساً للاله، كان يسود هناك السلام، الفرح، المحبّة، النظام والاحترام. كان الطعام يكفي للجميع. لكن الآن بعد اعتماد الالحاد، دين الشيوعيين، اصبح دار

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الاطفال مكاناً يسكن فيه الخصام، عدم الرضا، الكره، القذارة، الفوضى والتجديف على الاله. لم يعد الاطفال يشبعون بعد تناول الطعام. اصبحت الحياة بالنسبة لفالتر ورفقائة لا تُحتمل. لقد شهد الأطفال امام موظفي الدار وامام الشيوعيين الاخرين الذين زاروا المقر بأنهم آمنوا بالاله وبانهم اتباع ليسوع المسيح. كان الاضطهاد يقرّب الأطفال من بعضهم البعض ومن المسيح حتى صاروا كعائلة واحدة. استغلوا كل فرصة ليصلّوا سويّة.

لكن بعد ذلك جاء الشر الأكبر. لقد تم اكتشاف «بيت صلاتهم» واتلفت معظم كتب العهد الجديد. في ذلك الوقت اصبح من شبه المستحيل الاختباء في أي مكان آخر بسبب مراقبتهم من قبل المربّيات بشكل متواصل. واذ لم تعد الصلوات المشتركة ممكنة، صار كل واحد يصلي بمفرده فقط.

في يوم الأحد وبينما الأطفال الاخرون كانوا منشغلين باللعب، توارى المؤمنون الواحد تلو الآخر خلف ادغال زاوية الحديقة. تجمّعوا في مكانهم المفضّل على أمل ان لا يراهم أحد. اخرج التلاميذ كتبهم المقدسة من المخابئ التي تمكنّوا من اخفائها عن أعين المربّيات الحادة. في البداية قرأوا في الكتاب المقدس، ثم بصوت خافت بدأوا بغناء ترانيمهم المُفضّلة. لكن احدى المربّيات شاهدتهم وتعقّبتهم بهدوء بعدما توارى الأطفال خلف الادغال. وعندما اكتشفت المخبأ اسرعت الى مديرة الدار.

فاجأ الأطفال المربّيات للغاية وعلى رأسهم مديرة الدار في اللحظة التي صلّوا بها الى الاله بكل توق وهم جاثين على الركب. وقبل ان يستطع الأطفال فعل أي شيء حيال ذلك، طالت أيدي النساء جميع كتب العهد الجديد. بأيدي خشنة وبلارحمة تم أخراج الأطفال من مخبئهم. بعد فترة وجيزة طُمرَت الحفرة بالحجر والطابوق ومُزّقت الكتب. تمت مُعاقبة المسيحيين الصغار بقسوة حتى انهم شعروا بالآلام لأيام عدة في جسدهم الواهن اساساً. لكن فقدان كلمة الاله وتدمير مخبأهم سبّب للاطفال ألاماً أشد من الآلام الجسدية.

بدا المستقبل وكأنّه قاتم جداً اذ لم يعد بامكانهم القراءة عن مخلّصهم يسوع المسيح والبحث في الكتاب المقدس لمعرفة الصالح من الطالح.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

من الأفضل أن نموت على أن نسرق

سادت البلاد المُدمّرة بالثورات والحروب مجاعة مُفزعة. كل يوم كان يموت الآلاف من الناس. عندما غادر العاملون السابقون دار الأطفال كان لايزال هناك مخزون احتياطي من الطعام يكفي لحوالي سبعة الى عشرة اشهر. لم يمض سوى ثلاثة اشهر حتى استنفذ الموظفون الجدد كل شيء. والآن دخل القحط الى دار الأطفال أيضاً.

لكن حتى بعد ان صار الأطفال لايحصلون على قدر كاف من الطعام، كان الكادر الجديد يتمتّع بما تبقى من المؤن الغذائية. بعد ثلاثة أشهر كانت مستودعات الطعام شبه فارغة. لم يمض وقت طويل حتى وصلت حصة الأطفال الى ١٥٠ غرام فقط من الخبز في اليوم الواحد. ثم ما لبثت ان انخفضت هذه الحصة اكثر بعد فترة وجيزة. غابت اللحوم والشحوم تماماً من قائمة الطعام، حتى صار الأطفال يحصلون على الخضار والأعشاب فقط. لكن حتى هذه لم تستمر لفترة طويلة وكان لابدّ من تدبير الحال بثمار السنط.

لم تكن الحكومة تبالي بدور الأطفال تماماً ولم يكن احدٌ هناك يريد ان يوظّف نفسه لخدمة الأطفال الأيتام والمساكين.

واذ لم يعد هناك خضار في حديقة دار الأطفال، طلبَ المربّون من الأطفال أن يذهبوا الى الحدائق المجاورة لكي يسرقوا منها. كان الطفل الذي غالباً ما ينجح بالسرقة يُمدَح ويُكافأ باعطائه حصّة اضافية. تحوّلت السرقة الى منافسة غريبة بين الأطفال. كل من لا يرغب بالسرقة كان يبقى جائعاً. من خلال تلك المواقف مرّ فالتر ورفقاؤه بتجارب كبيرة. كان يتحتّم عليهم ان يسرقوا تماماً مثل الآخرين. لكنهم قرأوا في الكتاب المقدس بان السرقة هي خطيئة والسارقون لايدخلون ملكوت السموات، لذا ابتعدوا عن ذلك. وعوقبوا لاجل ذلك من قبل المربّيات بشدّة. سأل الأطفال الأصغر سناً فالتر ليطلبوا المشورة منه.

ناقش الرفاق سويةً حالتهم وتوصّلوا الى قرار بانه من الأفضل ان يجوعوا على ان يخطئوا من خلال السرقة. في الصلاة اخبروا الاله بمحنتهم وطلبوا منه ان يساعدهم للبقاء اوفياء عند وعدهم. «يارب يسوع، انت تعرف اننا مُجرّد أطفال صغار ونحن جياع جداً ونريد ان نحصل على الطعام دائماً. طُلبَ منّا ان نسرق ما يعود لاناس اخرين. ساعدنا يارب يسوع. أعطنا القوة، الافضل ان نموت جوعاً

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

على ان نسرق. احمنا من مضايقينا واحمنا من الاضطرار للسرقة».

مجازاة الثقة

لم يبقَ الايمان البسيط والصلوات بلا اجابة. اذ لم يضطر أي من الأطفال الى السرقة. حفظهم الرب في تلك الفترة الصعبة ليس فقط من تلك الخطيئة فحسب، بل أيضاً من فضاعة الموت جوعاً. بعد يومين من قرارهم بعدم السرقة مضوا بهم الى الحدائق الخارجية مرة اخرى مع الأطفال الآخرين. عندما وصل المسيحيون الصغار الى القرية المجاورة، التي كانت على مسافة بضعة كيلومترات من دارهم، كانوا مُتعبين جدّا ويتضوّرون جوعاً حتى كانوا بالكاد يقفون على ارجلهم. لكن بدلاً من ان يلتقطوا شيئاً من الحديقة الخارجية، ذهبوا الى احد المنازل وطرقوا على الباب بهدوء. فتحت لهم الباب امرأة كبيرة بالسن ونظرت اليهم بمودّة. كان الأمر لها جلياً بان الأطفال جاءوا من قبل الدار.

عندما علمت بحالتهم دعت الجميع الى المنزل واعطتهم شيئاً ليأكلوا، على الرغم من انها كانت هي نفسها في عوز. لقد تأثر الأطفال عميقاً من خلال الرعاية الحميمة، اذ لم يحبّهم احد لهذا الحد منذ وقت طرد ابيهم. وعندما تناولوا الطعام، شكروا مضيفتهم وارادوا مغادرة المنزل، لكن بعدها انفجر الجميع من البكاء الواحد تلو الآخر. أخبروا المرأة الودودة عن معاناتهم، محنهم وضيقاتهم. وأخبروها ايضاً عن اجبارهم على السرقة وبانهم قرّروا ان يموتوا بالحري على ان يُخطئوا. تأثرت المرأة بشدة حتى اضطرت الى البكاء سويةً مع الأطفال. تحدّثت لساعة كاملة معهم وعلمت انهم مؤمنين بالاله ويحبّونه من كل قلوبهم. اتّضح فيما بعد ان المرأة أيضاً كانت ابنة حقيقية للاله. قرأت معهم مقطعاً من الأنجيل. بعدها صلّت معهم للاله وطلبت منه ان يساعد الأطفال ويحميهم. ذهب الأطفال الى الدار بقلب مبتهج شبعين ومتعزّين من خلال الشركة المُباركة مع صديقتهم الجديدة. حتى ان المرأة المُحبّة أرسلت بيدهم للأطفال المؤمنين الماكثين في الدار شيئاً ليأكلوه. فرح الأطفال لأنهم لم يضطرّوا للسرقة بل اعطاهم الرب بنفسه ليأكلوا من خلال خادمته التي اعتنت بهم بشكل جيد، على الرغم من وضع عائلتها المادّي.

بدموع الفرح في عيونهم قصّوا على رفقائهم كيف ان الرب استمع الى صلواتهم عندما اعطاهم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ليأكلوا وبنفس الوقت حماهم من الخطيئة. لكن فرحوا بالاخص بالمرأة المُحبّة التي كانت مؤمنة بالرب يسوع ويصلاتها لأجلهم.
منذ ذلك الحين قام الأطفال بزيارة هذه العائلة المؤمنة والمضيّفة كثيراً. وكانت المرأة المحبّة واصدقائها يعتنون سويةً بالأطفال في الخفاء مُقدّمين لهم كل تعزية وتشجيع على الأيمان.

مخبأ غريب

لما بات الأمر واضحاً بالنسبة للمربين بأن المسيحيين الصغار لن يسرقوا لطالما هم مجتمعون، قرّروا تفريقهم بين عدّة مجاميع كانت تُقاد من قبل أطفال آخرين. الهدف الرئيسي من هذا الاجراء ليس من أجل أمداد الأطفال بالمؤن الغذائية، بل لاجبارهم على القيام بما كان خطيئة في نظرهم.
سمع الأطفال بذلك وقرّروا الحفاظ على وفائهم لربّهم. عندما حلّ المساء واقترب وقت ارسال الأطفال للسرقة، لم تستطع المربّيات العثور على أي من الأطفال المؤمنين. فتّشوا الدار، المخازن، السطح، القبو وكل المباني الاخرى. حتى الحديقة تم تفتيشها — لكن بلا جدوى!
لم يرهم احداً وهم يغادرون المنطقة من البوابة الحديدية. اذن اين بقي الأطفال؟ الجميع كانوا في حيرة من أمرهم! لم يكن باستطاعة الأطفال ايضاً العبور الى القرية المجاورة! لانه باي حال من الأحوال لن يستقبلهم أحد هناك خوفاً من الحكومة التي حذّرت من دعم الأطفال والتحدّث معهم عن الاله.
اشتدّت حيرة وغضب مديرة الدار حينما رفعت احدى المربّيات التي كانت تأتي بالأطفال الى الفراش فراشاً فارغاً من على السرير لاحدى الفتيات المؤمنات. تحت الفراش وعلى المشبك الحديدي كانت هناك آنا بنت الثمان سنوات قابعة وجامدة ووجهها نحو الأسفل.
فرفعن المربّيات أيضاً فرش جميع المفقودين الآخرين — وعثروا على كل الأطفال المختبئين. كل طفل كان في سريره تحت الفراش، هزيلاً مُتيبّساً من الصمود لثلاث ساعات في هذا الموضع الغير مريح.
توصل الأطفال الى هذا القرار بعد ان اجتمعوا لمناقشة كيفية الهروب من السرقة وأين عساهم ان يختبئوا. كانت هذه فكرة فالتر الذي كان بارعاً في تخطيط المؤامرات في الفترة التي سبقت توبته.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

كان يعلم انه سيجري البحث عنهم في كل مكان لذا أشار على رفاقه الصغار بان يقبعوا تحت فرشهم دون أن يلاحظهم أحد — هناك لن يعثر عليهم أحد. كانوا يريدون الأختباء هناك الى حين ذهاب الجميع للنوم واطفاء الأنوار. ثم كانوا سيخرجون بعدها ويضطجعون فوق فرشهم. كل شيء سار على مايرام حتى تلك لحظة التي تم بها اكتشافهم. أخرج المربّون الأطفال بقوة من مخابئهم.

على الرغم من وهن الأطفال والآلام بسبب بقائهم لفترة طويلة في مخبئهم الغريب، مضوا بهم الى الأسفل وضربوهم بقسوة. لكنّهم تحمّلوا كل عقوبة بصمود. لم يطلب أحد منهم الرحمة من مُعذّبيهم.

في وقت مُتأخّر من الليل صرخ المظلومون بأنين وتنهُّد الى الههم وطلبوا منه ان يحميهم وان يعطيهم القوة لتحمّل كل شيء وان يبقوا امناء له.

الهاربون الصغار

في أحد ايام الصيف الحارّة سار طفلان صغيران على طول شارع ريفي ترابي. كان عمر الفتاة ثمان سنوات واخوها حوالي ست سنوات. وكانت الفتاة تحمل في يدها كيساً صغيراً من شرائح خبز مُجفّف. غالباً ما كان الطفلان يتلفّتان حولهما في أثناء سيرهما ويختبئان خلف الأدغال سرعان ما يجدان احداً يسير في الشارع. كانا يجلسان او يضطجعان هناك حتى يختفي المتجوّل مرة اخرى عن مرأى عيونهما. كانا يتجنّبان ايضاً المرور من خلال القرى لذا كانا يفضّلان الطرق الغير مباشرة.

لقد قطع الطفلان بالفعل مسافة حوالي ٢٥ كيلومتر. تألّمت أقدامهما الصغيرة كثيراً، اذ لم تكن مُعتادة على قطع مسافة طويلة كهذه، فضلاً عن عدم ارتداء الأحذية. سار هينشن ببسالة بجانب أخته لمسافة طويلة، أمّا الآن فقط بدأت خطواته تتضاءل ودائماً ما يتخلّف في السير. وأخيراً اشتكى بتنهّد عميق من ألم في قدميه. حاولت اخته قصارى جهدها ان تقنعه بان مسيرتهما سوف تنتهي عن قريب وسيكونان عاجلاً مع أبيهما حيث باستطاعته ان يجلس هناك ويستريح. بعدها سيكون كل شيء على ما يرام كالسابق. بدأ الشك يتسلّل الى قلبهما وتساءلا إن كانت رحلتهما ستكون موفّقة بالكامل. بدأت قواهما تخور وتضعف. بينما كانت الفتاة آنا تعزّي أخاها لاحظت هي ألاخرى أنها بالكاد تقدر ان تخطو الى الأمام. في المساء قارب مخزون الخبز على النفاذ. وعندما صارا على مقربة

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

من قرية بدت المنطقة لآنا وكأنها مالوفة أكثر فأكثر. تذكرت كيف انهم في احدى المرآت مرّوا بهذا الطريق — في الماضي عندما كانوا في نزهة مع بابا والأطفال الاخرين في ثلاثة عربات قش كبيرة الى الريف.

تمنى الطفلان ان يسألا احداً هناك عن مكان سكن بابا وكيف عساهما ان يجداه. لكنهما كانا يخشيان من ان يجدهما احد هاربين من دار الأطفال ويعيدهما بعد ذلك الى هناك. لكن لم يكن لديهما خيارٌ آخر. تحلّيا بكل شجاعة ومضيا نحو رجل كان يعمل في حديقته بجوار الاسطبل.

حالما نظرَ تيموثاوس مارتشينكو الى المُتَشَرِّدَين الأثنين الصغيرين بملابسهما الرثّة، اللّذان اقتربا منه بتردّد، ذهب للقائهما. لم يغب عنه بان الطفلين كانا مُتعَبَين وخائفين لذا سألهما بلطف: «من انتما يا أطفالي وأين تريدان الذهاب؟ عن من تبحثان؟ قولا لي كل شيء لا تخافا».

«أردنا أن نجد اباانا»، أجابت آنا بتردّد رافعةً عينيها الدامعتين الى الرجل. بكى هينشن أيضاً مُمسكاً بيد شقيقته.

تأثر قلب تيموثاوس من منظر الطفلين المُتعبَين والمُتألمينَ واللّذان كانت أرجلهما مجروحة تنزف دماً. أدخلهما الى المنزل ونادى زوجته وأبنته وطلب منهما ان يغسلا أرجل الطفلين وان يعطوهما شيئاً ليأكلاه. أودع آنا وهينشن نفسيهما ببساطة القلب الى عهدة هؤلاء الناس اللطفاء والغرباء. شعر الاثنان بتحسّن في الحال وتوقفا عن البكاء.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

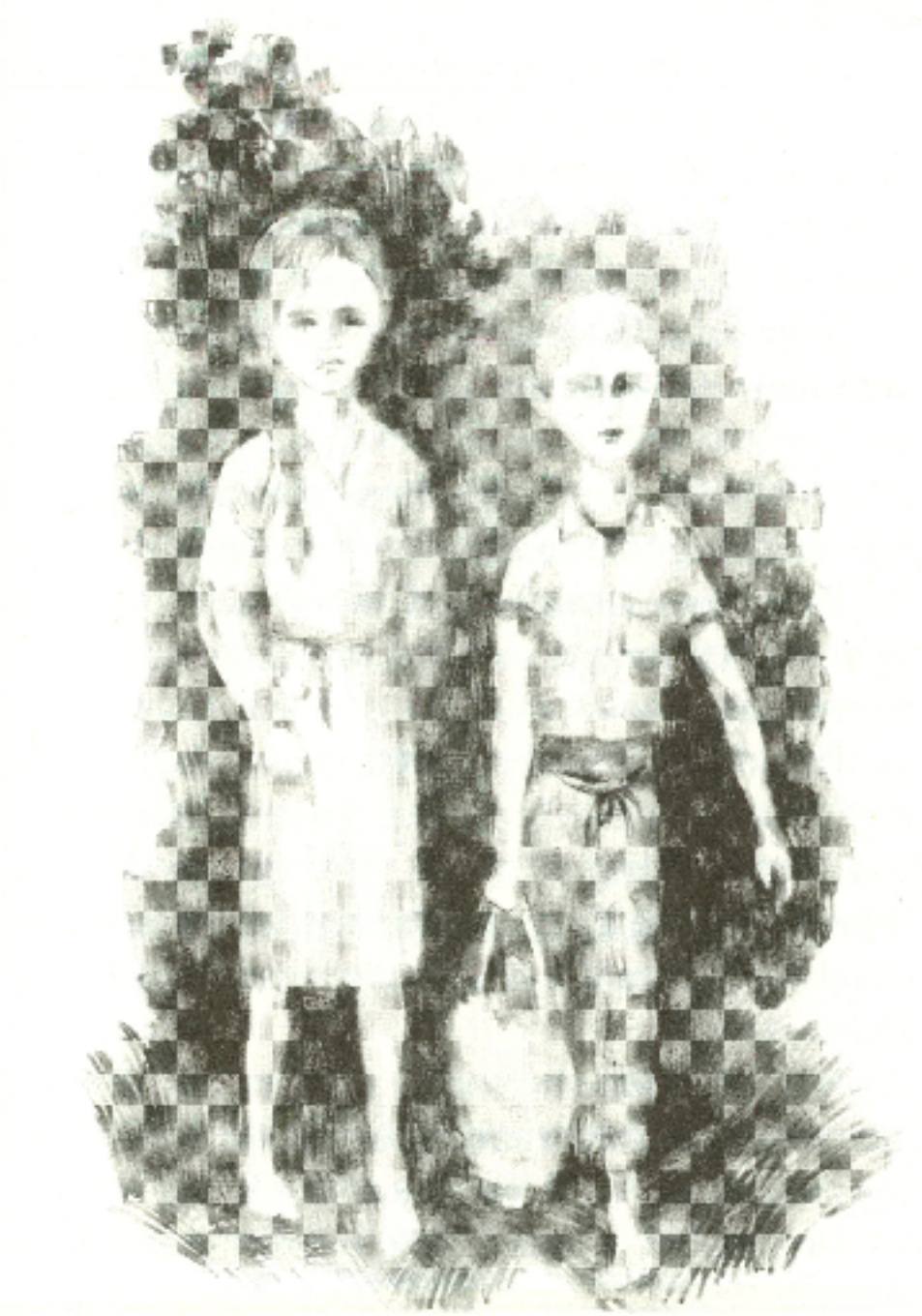

اذ غُسلت ارجلهما المُنهكة من التعب وتمت معالجة جراحهما. سرعان ما جلسا على مائدة الطعام ليذوقا طعم الخبز الطازج والحليب. آه، منذ زمن طويل لم يأكلا شيئاً مثل هذا! كان ببساطة شيئاً

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

رائعاً.

جلس العم مارتشينكو مع الطفلين وسألهما بعض الأسئلة لمعرفة المزيد من التفاصيل — من هما وكيف وصلا الى هذه القرية. «لقد قلتما انكما تبحثان عن أبيكما. هل فقدتماه ام هو الذي فقدكما؟»، سأل صديقهما الجديد.

«نعم، ياعم»، اجابت آنا، وهي تقضم مرة اخرى من قطعة خبزها. «كان لدينا أب رائع وكان يُحبّنا كثيراً. كان لديه الكثير من الاطفال وكلّنا كنّا كأخوة وأخوات. كنّا نُحبّه أيضاً. كان يوصينا بأن نحب بعضنا البعض وان نحب الناس الأخرين أيضاً. علّمنا ان نكون مطيعين أيضاً لان المُخلّص يريد هكذا. المُخلّص يُحبّنا أيضاً وفي يوم من الأيام سيضُمّنا اليه في السماء الرائعة عندما نكون مطيعين له. وكلّنا نحرص على أرضائه لأننا جميعاً نريد ان نذهب اليه في السماء. لكن في أحد الأيام جاءنا ناس أشرار جداً وطردوا أهلنا».

كان ذكر هذا الأمر مؤلماً جداً حتى ان الطفلين حضنا بعضهما الآخر وبدآ بالبكاء مرة اخرى. القى هينشن رأسه في حضن شقيقته وتنهّد قائلاً: «بابا، بابا، لماذا أبعدوك؟ اين انت، بابا؟ حالنا سيئة للغاية بدونك!».

وبينما كانوا يستمعون الى حكاية الطفلين لم يستطع المُضيّفون الثلاثة أيضاً ان يكبتوا دموعهم بعد. أعتقدوا ان هذين الطفلين الصغيرين كانا قد جاءآ من أحدى دور الأيتام.

واذ هدأ الطفلان قليلاً، تقدّمت امرأة تيوثاوس وعانقتهما مداعبة ايّاهما بلطف وطلبت منهما ان يخبراها اكثر عن انفسهما وعن بابا.

«الناس الأشرار، الذين طردوا بابا في الماضي، مازالوا عندنا»، قالت آنا. «لكنهم لا يحبّوننا بالمرّة وغالباً ما يعاملوننا بقسوة. يسخرون من الرب يسوع ويريدوننا ان نقوم بذلك أيضاً. تم منعُنا من قراءة الكتاب المقدّس والصلاة. برغم هذا نصلّي احياناً، لكن لاجل ذلك يضربوننا ويتركوننا بلا طعام. الان حالنا سيئ للغاية» استطردت الفتاة بعد تنهّد عميق، «لذلك هربنا للبحث عن أبينا». كنت اعلم انه ينبغي المرور بهذه القرية لو أراد احداً زيارته. العم العزيز، أرِنا الطريق الصحيح المؤدي الى بابا. أرجوك، لا ترجعنا ثانيةً الى الناس الأشرار! أرجوك!".

«لا يا أطفال. لا تخافا. لن ارجعكما. ساريكما مكان أبيكما. لكن الوقت مُتأخّر الآن، عليكما الذهاب الى النوم. ستعد زوجتي لكما الفراش حالاً. غداً صباحاً يمكنكما مواصلة السير».

هدأ الطفلان وتقويّا من خلال الطعام الجيّد. بعد صلاة مُشتركة ذهبا الى الفراش وناما في الحال. كان تيوثاوس يعرف مدير الدار السابق حق المعرفة حتى أنه كان يدعمه بتزويده دار الاطفال بالمؤن

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الغذائية. كان يعلم بان الأخ ب يسكن الآن في قرية صغيرة على بعد ٧٠ كيلومتر من هنا. لذا عزم على ارسال الطفلين اليه، علماً ان خطورة هذه الرحلة كان واضحاً بالنسبة له. لو علمت السلطات بذلك لقامت بمعاقبته بشدّة. كان يعلم تماماً بأن كل الأشخاص الذين لا يتلائمون مع الحكومة الجديدة كانوا بمثابة أعداء للثورة* ويمكن رميهم بالرصاص دون محاكمة.

أوقظَ مارتشينكو الأطفال باكراً في صباح اليوم التالي. بعد تناول أفطار سريع شدَّ الخيول أمام العربة وغادر القرية مع الطفلين المحميين قبل ان يستيقظ سكّان القرية الآخرون من النوم. لمّا أشرقت الشمس كان قد قطع مسافة ٢٥ كيلومتر. تمنّى ان يكون الآن في مأمن حيث لايوجد هنا شخص يعرفه.

كان الأخ ب قد رجع للتو من العمل وقام بفحص السياج الذي كان بحاجة الى ترميم. يسكن الآن في البيت العائد لوالديه الطاعنين جداً في السن لادراة الاقتصاد المنزلي. اذ لم يكن بمقدورهم توظيف أي شخص لمساعدتهم في الامور المنزلية لانّ الثورة قد جرفت كل املاكهم.

لذلك انتقل الأخ ب الى بيت أهله بعد ابعاده من دار الأيتام. هنالك وجد عملاً لكسب العيش وفي أوقات الفراغ كان يكرّس نفسه للملكية الصغيرة التي كانت في حالة متدهورة جداً.

وبينما كان واقفاً بجوار السياج وهو يخمّن تكاليف ترميمه، رأى عربة على قارعة الطريق. وتعرّف بسرعة أيضاً على تيموثاوس الذي كان جالساً فيها، لكنه لم يتعرّف على الطفلين الهزيلين والمُرتدين خرقاً. لكن قبل أن توقّفت الخيل قفزت الفتاة المُهملة من العربة متبوعة باخيها الصغير. بصرخة تُدمي القلب: «بابا، بابا، ابانا!» انطلقا اليه مُسرعَيْن.

تعرّف الرجل المُتحيّر على تلميذيه السابقين من خلال صوتهما. بألم شديد الوخز في القلب وبدموع في عينيه سحبهما بقوة اليه ورفعهما على كتفه حاملا أياهما الى بيته. عانقه الطفلان وقبّلاه بلا توقّف من وجهه.

وبينما دخلت امرأة الأخ ب وأهله الغرفة ونظروا الى الطفلين الهزيلين، اللذان كانا يتّمتعان بوسامة وصحّة جيدة في ذاكرتهم، انفجروا من البكاء.

ضحكَ الطفلان السعيدان وبكيا في نفس الوقت. عانقا وقبّلا الجميع الواحد تلو الآخر — بابا، ماما، الجدّة والجد. لقد تذكّرا جيداً كيف ان الجد والجدة كانا يزوران دار الاطفال ومعهم الهدايا.

حدّق الطفلان في أعين كل واحد وقالوا: «سنبقى عندكم. أليس كذلك؟ ولن يأخذنا أحد منكم

---

*معادين لثورة اكتوبر عام ١٩١٧ في روسيا

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

بعد. أليس صحيحاً ذلك يا بابا؟ سوف لن تتركنا الآن؟».
عندما هدأ الطفلان قليلاً وجلسا، كان على آنا ان تروي لهم كيف سارت الأمور معهم في دار الأطفال وكيف انتهى بهم الأمر فجأةً بان يكونوا عند العم الطيّب تيموثاوس في القرية.
«كانت حالنا من سيء الى أسوأ دائماً»، قالت الفتاة. "صلّينا وطلبنا من الرب يسوع ان يساعدنا، فساعدنا ان نتحلّى اكثر بالصبر. لكن مع ذلك كانت حالنا تزداد سوءاً دائماً. أطفال كثيرون تمرّضوا ونقلوا الى المستشفى. نحن كذلك، المؤمنون، تمنّينا ان نصبح مرضى عسى ان نخرج من دار الأطفال، لكننا لم نمرُض. سألنا فالتر ما ينبغي علينا فعله. قال لي، عليكِ ان تأخذي هينشن، أصغَرنا، الى بابا وماما. كان يظن بانكم قادرين على مساعدتنا. بينما قرر الآخرون أن يمكثوا في الدار. احتجنا الى الخبز لاجل رحلتنا، اذ علمنا انكم تسكنون في مكان بعيد جداً. لذلك قام فالتر والأطفال الآخرون بوضع الخبز في أكياسهم كلما حصلوا على القليل منه. لاحقاً قُمنا بتجفيفه تحت الشمس وحراسته لئلا يرى احد ما نقوم به. بعد ملاحظتنا لوجود ما يكفي من الخبز لعدّة أيام استيقظنا باكراً جداً في أحد الأيّام والاخرون مازالوا نائمين. أتى بنا فالتر الى فتحة السياج التي قمنا بعملها قبل يوم واحد في أبعد ركن من الحديقة. زحفنا من خلالها وعاد فالتر للخلف. في المساء وصلنا الى الرجل الطيّب الذي أتى بنا الى هنا.
عند سماع هذه الحكاية امتلأت أعين السامعين بالدموع. لكن قلوبهم كانت عامرة بالفرح العميق حال سماعهم بان فالتر قد تاب وظلّ صامداً بثبات في الايمان. لقد سبق وان سمعوا مّرة ان فالتر قد اصبح شخصاً اخر، لكنهم لم يصدّقوا تماماً ما سمعوه في ذلك الحين. شكر الأخ ب وزوجته ربّهم من كل قلوبهم اذ استجاب الى صلواتهم من جهة الفتى.
بعد تقرير آنا صلّى الجميع بحرقة في قلوبهم الى الاله. كانوا يدركون جيداً، بان الأطفال يعيشون تحت ظروف مروّعة في الدار ولم يكن باستطاعتهم فعل شيء ازاء ذلك. في محنتهم صرخوا الى الاله لطلب المساعدة، لانه الوحيد القادر ليس على مساعدة الأطفال في هذا الدار فحسب، بل أيضاً الملايين الآخرين في بلاد روسيا الواسعة ممّن أرسلت لهم الحكومة مثل هؤلاء المُربّين. لأسفه الشديد لم يتمكّن الأخ ب من الاحتفاظ بالطفلين الهاربين. السبب الأول، لانه بسبب ذلك ستزداد احوال الأطفال الآخرين في الدار سوءاً. السبب الثاني، كان ذلك سيعرّض حياته للخطر أيضاً. اذ لن تمضي سوى أيام قلائل وتعلم السلطات بأن الطفلين كانا عنده.
سوف يحمّلونه مسؤولية ايواء الطفلين اللذين هربا من مؤسّسة حكومية و سيتّهمونه بالتحريض بل

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

حتى بالتخطيط على الهرب من دار الأطفال. لذا لم يكن بمقدوره ولاحتى ليوم واحد الاحتفاظ بهذين الطفلين العزيزين. ما جرى لليتيمين الصغيرين المسكينين كان مُحزناً للغاية وكاد قلبه ينفطر لوجوب ارجاعهما مرّة اخرى الى دار الأيتام.

عندما توقفت عربة السلطة المحلّية في صباح اليوم التالي امام باب المنزل، كانت العائلة مُضطرّة ان تعتق تشبثها اليائس بالطفلين اللذين توسّلا بأبيهما بألاّ يرسلهما ثانية الى دار الأطفال. أدخل الطفلان الى العربة بقوّة — لم يكن هناك سوى خيار واحد فقط. بعد اربعة أيام من الغياب، مع ألم وعذاب، لكن أيضاً مع سعادة لا توصف بلقاء بابا الحبيب وماما، عاد الطفلان مرّة اخرى الى الدار. لم يوبّخ المربّون الهاربين الاّ قليلاً، وعلى غير العادة كانوا غير مبالين تماماً لما حدث. كان الطفلان في غاية الأمتنان لذلك. عند الفرصة الاولى أخبرا رفاقهما بكل الرحلة — كيف ان الرب قاد خطواتهما الى اناس طيّبي القلب اذ رحّبوا بهما وأتوا بهما الى بابا في اليوم التالي. بالطبع أخبراهم أيضا عن اللقاء المُفرح مع بابا وكل ما حصل معهما هناك.

الصامدون الصغار

بعد مضي عدة أسابيع على محاولة الهرب، أمرت مديرة الدار بوضع النجمة الحمراء — شعار الحكومة الشيوعية — على كل قبّعات الأطفال. مُعظم الأطفال تسلّموا قبّعاتهم من أيدي المُربّيات بفرح شديد وارتدوها بسرعة. كان الأطفال ينظرون الى النجوم التي على قبّعاتهم ويتشاجرون فيما بينهم مَن الذي نجمته أجمل.

لكن فالتر كان حزيناً عندما مسك قبّعته باليد. ذهب دون ان يرتديها وذهب رفقاؤه المخلصون وراءه.

بينما كان الاخرون يفرحون بصخب ويغنّون الأناشيد الثورية في غرفة الطعام، اجتمع المسيحيون الصغار في منطقة أدغال خلف الأسطبل وأبتدأوا برشق فالتر بوابل من الأسئلة، «لماذا لم تروق لك النجمة؟» لماذا لم ترتدِ قبّعتك؟".

وبينما هم يطرحون اسئلتهم كانوا مازالوا معجبين بنجومهم الحمراء البرّاقة.

«تعالوا الى هنا واجلسوا معي في العشب كي لايراكم احد. سوف اوضّح لكم، لماذا لم ارتدي قبعتي وعليها النجمة الحمراء»، قال فالتر.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

تجمّع الأطفال حول أخيهم الكبير منتظرين بشوق ما سيقوله لهم الآن.
«اعتقد ان ارتداء القبعات بالنجوم الحمراء هو خطيئة في عين الرب يسوع. لاجل ذلك لا احبها انا أيضاً»، أوضح فالتر.
«لماذا تُعتبَر خطيئة، فالتر؟»، تساءل الأطفال. «انظر اليها كم هي جميلة!». «ساقول لكم، لماذا»، أجاب فالتر. «حالما رأيت النجوم على قبعاتنا، كان عليّ ان أتذكّر في الحال الرجال المسلّحين الأشرار، الذين طردوا بابا. كان لديهم مثل هذه النجوم على قبّعاتهم. نفس النجوم التي على قُبعات الجنود الذين يأتون الينا، يلعنون ويمزحون مع المربّيات. أناس سيئون وأشرار. لايؤمنون بالاله، بل يُجدّفون عليه ويُعيّرون اسم يسوع المسيح. وعندما يرتدي مثل هؤلاء الناس قبعات بنجوم حمراء، ينبغي علينا نحن الذين نؤمن بالاله ونحب الرب يسوع أن لا نرتديها».
انصت الأطفال الى فالتر بانتباه واصبحوا جديين ومفكرين ملياً بما قاله.
«ما علينا فعله اذن؟» سألت آنا ابنة الثمان سنوات. «لكن بالتأكيد سيُطلب منا ان نرتدي تلك النجوم السيئة!».
أقترح فالتر، «لنرفع تلك النجوم الحمراء من قبعاتنا. وبامكاننا ان نلصق في محلّها قصاصة مكتوب عليها: »أنا أحد خراف يسوع المسيح«. إن كان على الاخرين ان يحملوا علامة الشيطان على قبعاتهم — سنحمل نحن اسم الرب يسوع!».
تم الترحيب بهذا المُقتَرح بسرور. أحضر فالتر سكين، وورق، واقلام. سرعان ما رميت النجوم على الارض وصار بالامكان قراءة ما وُضع محلّها على قُبعات الأطفال: «أنا احد خراف يسوع المسيح».
انتشرت أخبار هذا الأمر في دار الاطفال كالنار في الهشيم ووصلت بالطبع الى مديرة الدار أيضاً. ثار غضبها بشدّة. فاتخذت أقسى التدابير من اجل ازاله كلّ ذكر لاسم الاله.
كانت ربما على بيّنة من ان كل اجراءاتها وعقوباتها حتى ذلك الحين لم تنفع شيئاً وأن تأثير الاطفال المؤمنين على الآخرين كان في ازدياد. ربمّا قد نجحت في بادئ الأمر في زرع الكراهية في قلوب الأطفال تجاه المؤمنين، لكن شيئاً فشيئاً بات الأطفال يصطفّون الى جانب المسيحيين، لا بل حتى يدافعون عنهم.
عندما رأى الأطفال ان المؤمنين قد ثبتوا راسخين هكذا، تذكّروا نصائح مربّيهم السابقين وبدأوا الواحد تلو الآخر بالانضمام الى فالتر ومجموعته الصغيرة.
بعد حصول التغيير في ادارة دار الأطفال ومغادرة المربين المسيحيين للدار، جاءت فتاة جديدة —

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الكساندرا إبنة أربعة عشر سنة. كانت ابنة لاحد الشيوعيين، أحّد المقاومين للاله المُتعصّبين، الذي ربّى ابنته على عدم الايمان والالحاد بالاله.
بالرغم من ان الكساندرا كانت أكبر سناً من الأطفال المؤمنين، انجذبت ورجعت الى يسوع المسيح من خلال أيمانهم اليومي العامل. فانضمت الى المجموعة الصغيرة وشهدت بجهارة عن ايمانها. لكون الكساندرا كانت فتاة مُتعلّمة وموهوبة تكلّمت بحماس عن الاله مع مديرة الدار والمُربّين. كانت تبكّتهم على حياة الخطيئة و تقول لهم بان عليهم ان يرجعوا ويتوبوا. وعندما رأت مديرة الدار الكلمات المكتوبة على قبّعات الأطفال «انا احد خراف يسوع المسيح» بدل النجوم الحمراء، قررت معاقبة الأطفال باقسى ما يكون.
تم تمزيق قصاصات الورق امام مرأى كل الاطفال الى قطع صغيرة ومضوا بالمسيحيين الصغار الى قبو بارد ومظلم. هناك أجبر المُربّيات الاطفال على ان يجثوا لساعات طوال على ركبهم العارية على كومة من الانقاض الحجرية. علاوة على ذلك، تقرّر تركهم بضعة أيام بلا طعام بناء على تعليمات المديرة.
بعد مضي نصف ساعة من جثو الأطفال على الركب كان عليهم ان يصرّوا على أسنانهم بسبب ما اعتراهم من ألم لايُطاق — حافات الاحجار الحادة كانت تثقب جلدهم بعمق. صرخ الأطفال في ضيقهم الى الاله وطلبوا منه القوة لتحمّل العذاب.
استنزفت الالآم الرهيبة اجسادهم الضعيفة أساساً. لكن لم يطلب احد من الصامدين الصغار الرحمة من مُعذّبه. كانت فقط اصوات تنهدات ثقيلة من قلوب الاطفال تُسمع من وراء الجدران الباردة. لم يستطع أحد مساعدتهم لان فقط المُربّيات كُنّ يشهدن آلام الاطفال. لكن الرب يسوع الذي كانوا يتألّمون من أجل اسمه كان يرى ذلك ويعرف كل شيء. كان يَسمع التأوهات والتنهدات الخارجة من أعماق كل نفس من أنفس الصغار البشرية. اذ منح الاطفال الضعفاء، الاقوياء بالروح والأيمان، القوة اللازمة لذلك. وساعدهم على تحمّل الالآم حتى النهاية.
الطفل الأكبر كان عمره أربعة عشر سنة والأصغر كان ابن ست سنوات. بدو وكأنهم أكبر بكثير من اعمارهم اذ كانوا يتألمون كالبالغين.
بالرغم من ان فالتر نفسه كان يتألّم كثيراً، الاّ انه كان يسعى لتشجيع الاخرين. كان يحكي للاطفال وهو جاثياً على الأحجار المُسننة كيف ان يسوع المسيح صُلب لكي يُخلّص الناس من الخطيئة ومن الهلاك الأبدي.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

«لقد سمّروا يديه وقدميه بمسامير كبيرة الحجم، ووضعوا على رأسه اكليلاً من الشوك الكبير. هذا النوع من الشوك ينمو عندنا في مؤخرة الحديقة. فكّروا فقط كيف كانت مؤلمة عندما ثقبت رأسه تلك الاشواك الكبيرة السامّة. في احدى المرّات وخزت نفسي باحدى تلك الأشواك — وبقيت يدي تؤلمني جداً لمدّة يوم كامل. بعد ذلك علّقوا يسوع المسيح على الصليب. لقد تألم آلاماً عظيمة. كانت آلامه اكثر من آلامنا بمئات المرّات. لكنّه لم يبكِ، بل صلّى لاجل مضطهديه. تذكّروا ما كان على المسيح ان يتحمّله. هل تذكرون — لقد قرأنا ذلك في الانجيل».

سمع كل الاطفال بانتباه الى تقرير معاناة المسيح، ولكنه كان يُسمع صوت تأوه من وقت لآخر. لم تكن معاناة الأطفال قد انتهت بعد، لكنهم اتكلوا على الاله وتحمّلوا كل ما جرى لهم من أجل الأيمان بثبات. كان يُصلّون الى الههم كل يوم ويحكون له معاناتهم ويطلبون منه العون لكي يبقوا امناء الى المنتهى.

لم يمكنهم الذهاب الى أي شخص للشكوى. حتى لو عرفوا احداً يفهمهم، لن ينفع ذلك بشيء لانهم كانوا سيُعذّبون من قبل الذين لديهم السلطة في أيديهم. الى من اذن كان عليهم ان يلجأوا؟

بعد محاولة الهرب الفاشلة لاثنين من صغار الأطفال، تنازل الاطفال الآخرون ممن كانوا في صدد الهرب أيضاً عن أي فكرة من هذا القبيل.

برغم وحشية المُربّين، شجّع فالتر رفقاءه بمثال رائع وحثّهم على مواصلة الثقة بالاله. كرّس حياته للاله وخدمه بنفس القوة التي كان يُقاوم بها الاله في السابق.

الأيام الأخيرة في دار الأيتام

كانت الحياة في دار الأيتام تزداد صعوبة من يوم لآخر — ليس فقط مع الأطفال المؤمنين بل مع كل الاخرين أيضاً. ازدادت حدّة الجوع فازدادت الأمراض، لان الموظفّين لم يولوا الأطفال أهتماماً كافياً. لم ينل دار الأيتام سوى اهتماماً ضئيلاً جداً من قبل السلطات المحلّية أما السلطات الأعلى فلم تكن على علم بما يدور في التجمعات السكنية النائية للامبراطورية المُترامية الأطراف. لقي كثير من الأطفال حتفهم بسبب الجوع والأمراض المصاحبة للمجاعة.

لم يكن بمقدور العاملين السابقين المسيحيين مساعدة الأطفال المُتعبين ليس بسبب منعهم من الدخول

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الى المنطقة فحسب بل حتى من السكن بالقرب من دار الأيتام خوفاً من تأثيرهم على الأطفال. على الرغم من كل التحذيرات غامر أحد الموظفين السابقين بزيارة الاطفال المكروبين واضعاً بالحسبان انه قد يُلقى القبض عليه من قبل السلطات. كان الأطفال يلعبون في الحديقة وحالما رأوا رجلاً مُقبلاً اليهم عرفوا انه كان واحداً من مُربّيهم السابقين. ذهبوا للقائه وهم يصرخون بصوت عالٍ، على الرغم من منعهم منعاً باتاً من لقاء الموظّفين السابقين. بفرح عظيم أحاطوا به. بدا الاطفال الهزال والجياع وكأنهم هياكل عظمية في خرق بالية. تجمّعوا حول الرجل وعانقوه بوجوههم الشاحبة باكين بصوت عالٍ وراجين منه ان يخرجهم من هنا. شعر بألم واخز في القلب. كان الأطفال يبكون والرجل يبكي معهم أيضاً. رأى المفتش العام للتربية الوطنية ذلك في أثناء زيارة له لدار الأيتام. جاء الى الزائر الغير مُتوقّع وعرض عليه المساعدة اذ سمح له بأخذ الاطفال معه وخصوصاً المؤمنين حتى لو كان الامر غير قانونياً. هل كان مُتأثّراً بمعاناة الأطفاة بسبب ثباتهم وأيمانهم بالاله، أم أراد فقط ان ينصب شركاً للموظّفين السابقين؟ من الصعب معرفة ذلك. مهما كانت دوافعه فالمحاولة كانت جسورة جداً. اذ ان أخذ الأطفال بالسر لم يكن أمراً ممكناً ولم يكن هناك طريقاً قانونياً، لان الحكومة السوفييتية كانت تنوي تربية جيل جديد لا يخشى الاله ولا الجحيم ومُستعد لنشر افكار الشيوعية الى كل ارجاء العالم. لذلك فان الحكومة لم تأتمن المؤمنين قط على الاطفال الأيتام حتى وان قرّوا بانفسهم بان الأطفال كانوا يواجهون خطر الموت المحقّق من التضوّر جوعاً. الطريق الوحيد للخلاص كان يكمن في صلاة التشفّع المُستمرّة امام الاله للعون والحماية. وحده هو فقط القادر على مساعدة الأطفال. «هُوَذَا يُوجَدُ إِلهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ» — دانيال ٣: ١٧.

الخلاص

ايمان الأطفال بالرب يسوع وصلواتهم له لم تكن بلا جدوى. استمع الاله الى تضرّعهم وخلّصهم من الضيق في توقيته وبطريقته، حتى وان بدت كثير من طرق الاله عجيبة وغير مفهومة.
بسبب الجوع المُتزايد أضطرّت الحكومة الى غلق العديد من دور الأطفال، من بينها هذا الدار أيضاً. الأطفال الذين ما زال لديهم اقارب تم ارسالهم اليهم. القسم الآخر ممن لم يعد لديهم أحد تم توزيعهم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

على القرى المُجاورة — كان على الفلاحين الأعتناء بهم أسبوعياً بالتناوب. باستثناء الأطفال الأصغر سناً اذ تم ابقائهم في الدور.
لذلك جاء الكثير من الأطفال ممن خدموا الرب يسوع الى الفلاّحين. وقد جنّبهم هذا المزيد من الآلام في دار الأطفال.
لا أحد يعرف ما حل بهم بعد ذلك. هل حفظوا الايمان بالرب يسوع في قلوبهم؟ ام نسو الذي تألموا من أجله ليحبّوا العالم؟ ليته لم يكن كذلك!
نتيجة للظروف فقدنا كل أتصال بهم. كانت هناك فقط معلومات عن الأطفال الأصغر سناً، الذين تم نقلهم الى دار أيتام آخر، وعن فالتر.
بعد ستة أشهر من اغلاق دار الأطفال قام اثنان من الموظّفين السابقين بزيارة معارفهما في احدى القرى المُجاورة. طرقا الباب طويلاً، لكن لم يكن هناك من يفتح الباب. فدخلا البيت بعد ذلك. عندها علما بان اصحاب المنزل السابقين قد طُردوا وتمت مُصادرة المنزل ليصبح داراً للاطفال.
في إحدى الغرف وجدا عدداً من الأطفال. كان الفصل شتاء وزجاج النوافذ كان مُحطّماً، لذا كانت الغرفة باردة جداً. بعض الأطفال كانوا جالسين على الأرضية الباردة مُلتحفين بخرقٍ مُتسخة. معظمهم كانت عيونهم مُتورّمة ومُلتهبة.
في وسط الغرفة كان هناك ثلاثة اشخاص صغار ببنية هزيلة مُضطجعين على وسادة كبيرة شبه موتى. بسرعة دخلت مُربّية الى الغرفة وباعتقاد منها بأن الزائرين الغير متوقعين كانا من السلطة ، قالت ما يلي:
«انظرا الى هؤلاء الأطفال. هم يحتضرون فقط بسبب عنادهم الشديد! لقد تم نقلهم إلينا من احدى دور الأيتام بعد اغلاقه مؤخّراً. كانوا مسمومين بأفيون ديني الى درجة لم يعد احد بمقدوره ان يساعدهم! كانوا غالباً مايصلّون أمام الأطفال الآخرين فأثروا عليهم بشكل كبير حتى اضطررنا الى عزلهم».

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لا يمكن وصف الألم الذي أصاب كلا الزائرين. اذ كان يضطجع امامهما اطفالهما السابقين الذين كانوا تحت حمايتهما. رقدوا رقود الشهداء. صلّيا بصمت الى الاله اذ لم تكن لديهما طريقة لمساعدة الأطفال المساكين.

فجأةً فتحت فتاة صغيرة عينيها وهي تحتضر وهمست همساً لا يكاد يُسمع: «هل جئتَ لتأخذني يارب يسوع؟ حالنا سيء للغاية عند هؤلاء الناس وبابا ليس هنا. ارجوك أن تأخذنا سريعاً اليك. لقد سبق واخذت فولدي وبطرس والان هم معك. ارجوك، خذني انا أيضاً، اتمنى ان آتي اليك — آه، أشعر الآن إني بخير»، أضافت بصوت خافت. بعد ان توقّفت لبرهة همست قائلة «آه ... ياله من نور ... وياله من دفء....».

خرجت الكلمات الاخيرة ببطء شديد من الشفاه الزرقاء. وبدت عيناها محدقتان بعيداً بثبات. انخفض الجسد الصغير مرة اخرى ثم غادرت النفس الجسد المُعذّب.

سريعاً ويمضي الآخرون أيضاً الى الابدية — ليكونوا مع الرب يسوع الى الأبد.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الواعظ الشاب

بعد مرور سنتين على هذه الأحداث كانت هناك خادمة صغيرة تعمل في احدى دور الفلاّحين. كانت تغني بهدوء ترنيمة مسيحية عذبة أثناء غسلها لاطباق الطعام.

الغناء الحسن سرق انتباه الضيوف. كانت الترنيمة تُذكّرهم بالايام الماضية، فذهب أحد الضيوف الى المطبخ ليسأل الفتاة من علّمها هذه الترنيمة.

توقّفت عن العمل لبرهة وأجابت بمودّة: «لقد جئت من منطقة تبعد ٣٠ كيلومتر من هنا. هناك يعيشون أهلي، اخواني وخواتي وكلهم يغنّون ترانيم مثل هذه. بالاضافة الى ذلك نحن نصلّي ونأتي بكل احتياجاتنا الى الاله. ينعتوننا بـ «الدراسيون»* او «المبشّرون» وبأشياء اخرى. أما رجال الدين الارثدوكس فيقولون عنّا مهرطقون! كلنا نحب هذه الترانيم. عائلتنا تؤمن بالكامل ان يسوع المسيح قد مات من أجل الخطاة ونريد كلنا ان نخدمه، لذا لايهمنا ما ينعتنا به الاخرون. أخي فالتر قد علّمنا كل هذه. قبل عدة سنوات جاءوا به الى دار للايتام وهناك تعلّم محبّة الرب يسوع. وعندما تم ارجاعه الى البيت مرة اخرى كان يقرأ لنا من الكتاب المقدس ويعلّمنا هذه الترانيم. في البداية، لم يروق الامر لماما وبابا وكانا يشتمانه. لم يكن أهلنا يرغبون بالاستماع اليه عندما كان يقرأ، لكن ذلك لم يثني عزيمته بل بدأ يصلّي اكثر وبجدّية الى الاله. واصل فالتر قراءة الكتاب المقدس ثم شيئاً فشيئاً بدأوا يستمعون قليلاً. لم يمض وقت طويل حتى آمن أهلي بما كُتب في الانجيل. والان العائلة باكملها تؤمن بذلك، ونصلي ونرنّم سوية الترانيم الروحية. نجتمع في بيتنا مع آخرين — يصل عددهم أحياناً الى ٥٠ شخصاً — لسماع ما يقوله فالتر من الكتاب المقدس». وبعد ان انتهت الفتاة من سردها للحكاية واصلت عملها.

غمر قلب الضيف فرح عظيم عند سماعه الأخبار الرائعة عن فالتر. كثيرون كانوا يقولون ان هذا الأعرج لاينفع شيئاً، لكنه تاب من كل قلبه ورجع الى يسوع المسيح ليكون له تلميذاً أميناً ومثابراً. الغلام المُخلّص والمولود ولادة ثانية استخدمه الاله لخلاص كثير من الناس: اولاً في دار الأطفال، ثم في العائلة وفي القرية.

---

*وذلك لانهم غالباً ما يقومون بدراسة الكتاب المقدس ويحتكمون الى كلمة الاله بدلا من المشاعر والخرافات

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

صلاة التشفّع المُثابرة لمدير الدار السابق وموظفيه لم تكن بلا جدوى. محبتهم لفالتر لم تمض هباءً.
«الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالابْتِهَاجِ. الذَّاهِبُ ذَهَابًا بِالْبُكَاءِ حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ، مَجِيئًا يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ حَامِلاً حُزَمَهُ.» — مزمور ١٢٦: ٥-٦.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved